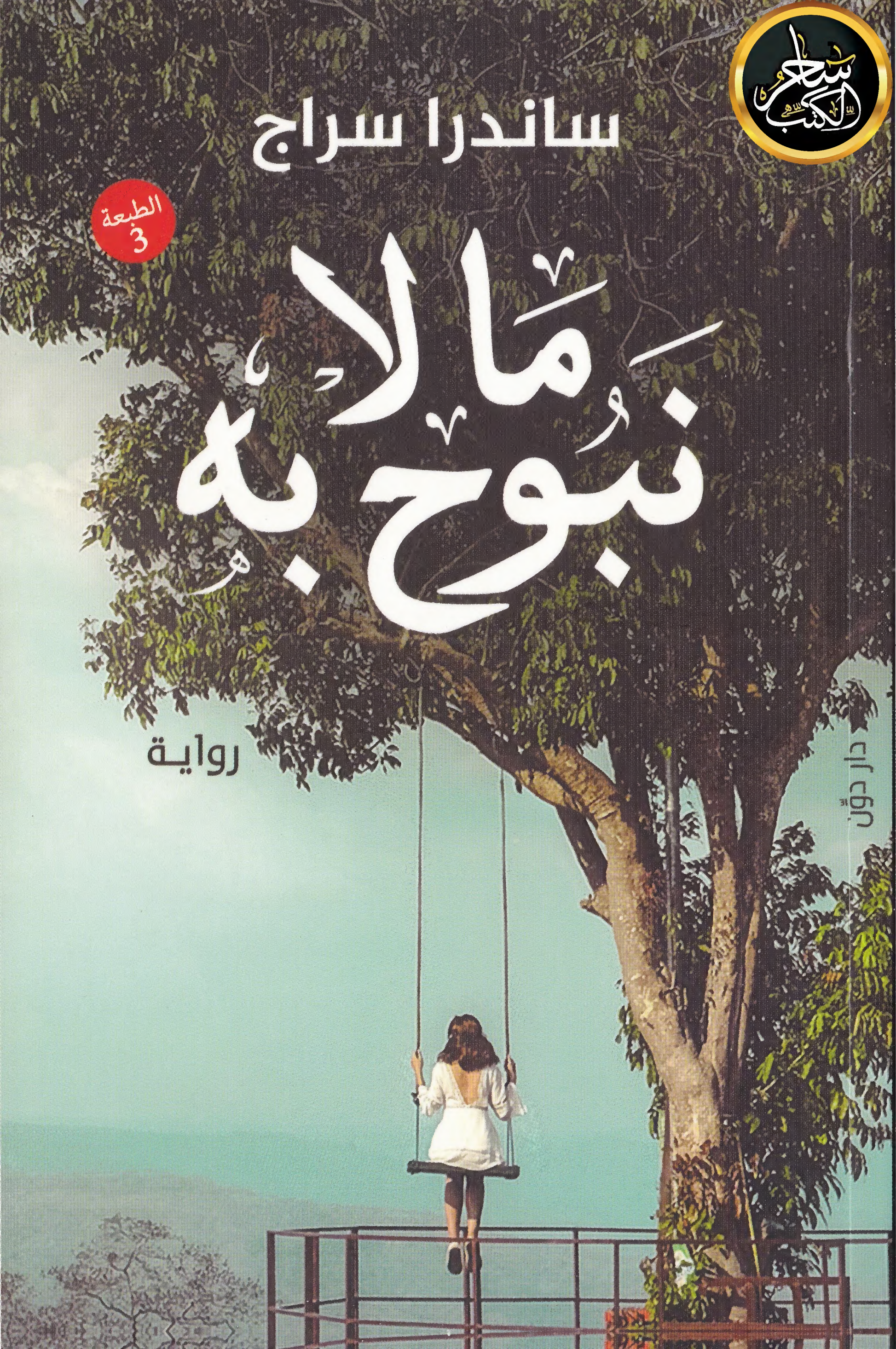

ساندرا سراج
الطبعة 3
مالا نبوح به
رواية
دار دوّن



ما لا نبوح به



ساندرا سراج: ما لا نبوح به، رواية
الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠١٨
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٦٩٧٠ - الترقيم الدولي: 978-977-806-106-2

عضو اتحاد الناشرين المصريين.
عضو اتحاد الناشرين العرب
القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053
info@dardawen.com
www.Dardawen.com



ساندرا سراج

ما لا نبوح به

رواية





إهداء

إلى الذين وقعوا في الحب.. والذين وقعوا من الحب.



«حبي لك لم يكن المعجزة، المعجزة أنني كففت عن ذلك»

غادة السمان

٢٣:٥٠

في الصباح يا أمي أنا سأرحل، سأذهب إلى مدينة لا أعرف بها أحدًا ولا أحد يعرفني.. عالم غامض، لا أعلم هل سأكون بخير أم لا.. فقط كل ما أعلمه أنني أعاني هنا، أهرب من ماضٍ يلاحقني ولا أستطيع الفرار منه.. يمزقني، ينهش روحي.. كل صباح هو حرب بالنسبة لي، كل صباح أعاني لأستطيع الخروج من الفراش ومواجهة العالم بكل ذلك الثقل الذي بداخلي.

كم أتمنى لو بإمكاني إخبارك كل شيء ولكني لا أستطيع.. كل ما يجب أن تعرفيه أنني أتألم، ولن أكون بخير أبدًا هنا.. يجب أن تتركيني لأجد نفسي.

ابنتك العنيدة المتألمة

إيلين



إيلين

٥:٠٠ صباحًا

أجلس في المطار أحتسي قهوتي، أحبها أن تكون ذات طابع فرنسي.. ليست ساخنة ولا بأس إن كانت باردة فأنا لن أتركها أبدًا بكل الأحوال.. أتأمل ملامح المسافرين، منهم من هو متحمس، منهم من هو حزين وهناك من هو بلا مشاعر أعتقد، لا أستطيع أن أتبين من ملامحه شيئًا.. ما زال هناك وقتٌ لطائرتي وها أنا بلا أحد لأودعه.. لا أعلم هل أنا متحمسة أم حزينة على ما سأتركه ورائي، أم أنني بلا مشاعر وربما أحدهم يشرب قهوته الآن ويتأملني ولا يعلم أيضًا، لا أعلم ولكن حقًا هذه القهوة رديئة جدًّا أو ربما كل شيء في هذا البلد يتسم بالسوء أو أنني فقط أصبحت لا أحب شيئًا هنا.. لا أعلم.

***

أنتظر أمي لتستيقظ وتصلي الفجر وتدخل كعادتها لغرفتي لتطمئن أنني بخير وتغطيني جيدًا، أنتظرها أن تذهب ولا تجدني وتهاتفني فزعة لتسألني أين أنا وإن كنتُ بخيرٍ أم لا، لا



تعلم أنني لطالما كنت في غرفتي وعندما كانت تظن هي أنني بخير كنت أبكي وأدّعي أنني نائمة حتى لا أحزنها، فقط لو تعلم أنني لم أكن بخير لوقت طويل.. أنتظر لتغضب مني لأني لم أخبرها بموعد سفري.. أنتظر.

***

٩:٠٠ صباحًا

على جميع الركاب المسافرين على رحلة رقم (...) التوجه إلى البوابة رقم (...) والاستعداد للركوب على متن الطائرة.

ارتعش جسدي للحظة، هذه رحلتي.. أأنا حقًا راحلة؟، هل سأذهب الآن؟.. فقط خمس دقائق أخرى.. هل يمكن أن أهاتف أمي وأبكي وأقول «أنا خائفة؟.. وجدتُها تتصل لأدّعي الثبات وهي تقول: «أنا أحبك وأثق بكِ.. لا بأس، كل شيء سيكون بخير.. ابقي سالمة صغيرتي».

لحظة!

لم تسبّني أو تلعني، لم تحل غضبها عليَّ ليوم الدين، لا أعلم ما شعرت به لكني بكيت، بكيت فراقها وحضنها، بكيت سخطها لي ونهرها على غرفتي الفوضوية وملابسي الملقاة في كل أنحاء الغرفة.. بكيت مكتبتي الصغيرة وغرفتي ومنزلي.. وأمي، بكيت أمي وبكيت البحر.. بكيته كثيرًا.

ركبت الطائرة وأنا أعلم أنني على حافة حياة جديدة، إما أن أنجو أو أغرق أكثر وأكثر.



آدم

٨:٠٠ صباحًا

«مع المراعاة لفرق التوقيت فهو يعتبر الساعة التاسعة بتوقيت مصر في مكان آخر ف هذا العالم البائس.»

في بيت من طابقين بحديقة، يتسم بالفخامة والبساطة وبعض لا بأس به من العشوائية.. توجد مكتبة ضخمة بها كتب نادرة.. يوجد كأس وبداخله بقايا نبيذ، ليكون بالطابق العلوي غرفة أثاثها أسود وحيطان بيضاء، رسومات فان جوخ..

يستيقظ آدم.

شاب ثلاثيني عربي الأصل من أب مصري وأم بريطانية.. شعره يميل للبني الفاتح، عيناه زرقاوان، معظم ملابسه سوداء ويحب الكتب والمسرح والموسيقى.. جسده متناسق، يبدو «مثيرًا».. اقتباسًا من الفتيات اللواتي واعدهن.

يرن المنبه ويحاول الوصول إلى هاتفه، ولكنه لا يستطيع فيفقد الأمل ويضع وسادته فوق رأسه ويكمل نومه بكل الأحوال، ثم يستيقظ مفزوعًا ويحاول الوصول لهاتفه ليجده على الأرض بجانب كتاب «البؤساء» فهو كتاب مترجم من



الفرنسية وهي لغة أخرى يجيدها آدم ببراعة ليقول بلكنة بريطانية لا تستطيع مقاومتها وهو ينظر للكتاب:

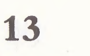
Yes، Good morning to you too love.

يقف يتأمل ملامحه ثم يأخذ ملابسه ويتجه إلى الحمَّام ليأخذ حمامه الصباحي..

يرن هاتفه ليرد: نعم، استيقظت.. لن أتأخر عن الاجتماع لا تقلقي.. يحاول أن يحسُن الكذب وهو يقول: «لا لستُ ثملًا، بالطبع لا.. استرخي، لن أتأخر، وسأكون في الاجتماع في موعده فقط إذا تركتيني أستعد، حسنًا.

إنه أول أسبوع لآدم في العمل بعد أكثر من ثلاث سنوات يتنقل بين البلاد والنساء والخمور والضياع، بالطبع إنه لا يحتاج إلى العمل؛ فوالده يملك إحدى أكبر الشركات في لندن بالرغم من علاقتهما السيئة، سيئة للغاية، وما يجعله يعمل بها هو أن والده يدير شركات الشرق الأوسط ويترك أمور شركة لندن له ولمساعدتِه التي عملت بدلًا منه كل تلك الأعوام، ويحدث أنها أحد أصدقائه المقربين أيضًا، إنها لبنانية بريطانية.. أمها لبنانية ووالدها بريطاني، صديقة آدم منذ طفولته.. علاقتهما مُعقدة لم يفهمها أحد أبدًا ولكنها جيدة وقوية بالقدر الذي يكفيهما لمواجهة كل شيء سويًّا.. إنها تُعتبر الوحيدة التي لم تتخلَّ عنه أبدًا ولم يتخلَّ عنها أبدًا.

***





يصل متأخرًا ليجدها أمامه تستشيط غضبًا لينظر لها معتذرًا فتلكمه في كتفه وتقول بغضب:

- إنت وعدتني إنك مش هتتأخر.

- ما اتأخرتش، هُما وصلوا بدري.

تصرخ لداخلها بغضب:

- آدم.

- تمام يمكن اتأخرت شوية، بس لو فضلتِ تزعقي هتأخر أكتر، يلّا اتحركي.

***

بعد الاجتماع، يدخل آدم لمكتبه يتأمله، يطلب قهوته وقهوة ياسمين، ويجلس ينتظرها ثم تدخل وتجلس بإرهاق بعد اجتماع دام أربع ساعات..

- كيفك؟

- تمام، إنتِ كيفك؟

- مشتاقتلك والله.

- ياسمين، إنتِ المفروض بعد كل السنين دي تزهقي مني.

تضحك ياسمين وترميه بأحد كتبه التي على المكتب لتخبره:

- مين خبرك إني ما مليت، بس إنت أخي.. ما بفرط فيك.



يبتسم بحُب ليرميها بنفس الكتاب لتصرخ بغضب «آدم، ستفسد شعري».. يحب عشوائية حواره مع ياسمين التي تتنقل من اللغة الإنجليزية، للبناني، للمصري، يشعر أنه حُر معها ليكون أي شخصية يُريدها في الوقت الذي يُريده.

- آدم.

- نعم؟

- هتفضل لإمتى كده، مستني إيه.. عارفة إنك اللي مريت بيه مش سهل، بس أعتقد جِه الوقت إنك تواجهه مش تهرب من نفسك ومن الناس.

- ياسمين..

- عارفة، هتقول مش بإيدي وهتقول مش قادر.

- لأ، أنا محتاج أخرج من اللي حبست نفسي فيه بس مش قادر.. ساعديني.

فتنهض ياسمين وتلمس جبينه وتسأله في تهكمية:

- خمنتك عندك حرارة، إنت من كل عقلك بتطلب ها الشي.

ليقول بغضبٍ:

- ياسمين..

- تمام، تمام.

***

إيلين

١٢:٠٠

أنا وحيدة، وحيدة جدًّا وأحب وحدتي.. أنا أستمتع بصُحبتي.

كانت الطائرة على وَشَك الهبوط أو ربما اقتربنا، اقتربنا جدًّا وأنا اقتربت من الوصول أو التوهان.. لا أعلم، ولكني لن أنكر أشعر بالحرية والحماس.

تعرفت على صديقة سابقًا في السفارة البريطانية «سام».. فتاة بريطانية مصرية، من أب مصري وأم بريطانية.. في الخامسة والعشرين من عمرها والآن هي تنتظرني هناك، أظن.

سأنام قليلًا، ربما يمر الوقت.. ربما يمُر كل شيء أيضًا.

***

١٣:٠٠

وصلت، سأنزل من الطائرة الآن، كل الناس تبدأ بالنزول من الطائرة إلا أنا جالسة، لا أعلم هل أنا خائفة أم متمسكة



بالكرسي الخاص بي في الطائرة لأن آخر شيء يتعلق بوطني هو شركة الطيران تلك، تُرى لو بكيت وأخبرتهم أن يأخذوني لأمي سيسخرون مني؟.. لا أعلم ولكني خائفة.

لا بأس إيلين، أنتِ قوية، قوية جدًّا.. فقط هيًّا تحركي.

الآن أنا في مطار هيثرو، يبدو رائعًا، عظيمًا جدًّا في الواقع.. حولي العديد من الناس المختلفين تمامًا عني، لا لغتهم لغتي ولا عاداتهم عاداتي، ولكنني سأتكيف معهم وسيتكيفون معي.. نحن مجبرون.

الآن أرى شابًا لون شعره بني فاتح وأعتقد عيناه هما مفهوم آخر للبحر، حاملًا لافتة عليها اسمي.. هذا أنا ولكن هو بالتأكيد ليس «سام».. وقفت أمامه أتأمله مثل البلهاء تارة وأتأمل اللافتة التي بيديه تارة.. وجدته يبتسم ويقول لي بلهجة بريطانية: «لقد جعلتني سام أرى صورتك حتى أتعرف عليكِ حين أراكِ، ولكن أنتِ أجمل بمراحل في الحقيقة».

ابستمت وأخبرته أني سعيدة بمعرفته وسألته عن سام وقال لي طرأ لها عمل عاجل، وأنه صديقها واستغرب أني لم أسأله عن اسمه وأخبرته أني عادة أنسى أن أسأل الناس عن اسمهم فقال: «اسمي عُمر».

وعندما وجدني استغربت، حدثني باللهجة الفلسطينية، وأخبرني أنه فلسطيني ولكنه يعيش هنا منذ سنوات عديدة، وتعرَّف على سام في مصر حين كان يقوم بسياحة.



فرحت كثيرًا لأن هذه المرة الأولى التي أقابل فيها شخصًا فلسطينيًّا، واستغرب أني لم أسافر أبدًا وأتكلم الإنجليزية بطلاقة هكذا، فابتسم وقال لي بلهجته الفلسطينية: «حمدالله ع سلامتك»

أخبرني أنه سيوصلني للبيت، تحدثنا كثيرًا، وعندما كنا نصمت كنت أتامل كل شيء هنا؛ الناس ،المباني، ملامح الناس، ضحكتهم.. كل شيء هنا مُختلف حقًا كأننا في حقبة زمنية مختلفة وأخذني إلى البيت الذي استأجرته لي سام.

كان بيتًا كبيرًا بحديقة أمامية رائعة بها كل أنواع الورود التي أحبها، في الواقع إن سام عملها هو بيع البيوت، ولكنها حقًا جيدة، تجعلك تشعر بالسعادة وأنت تدفع الكثير من المال من أجل تفاصيل بسيطة مبهجة.. صرخت وأنا أتأمل الورد وعمر يضحك ويتأملني بصمتٍ، جعلني أشعر أنني حمقاء ولكني لم أهتم، حقًا كنت سعيدة..

البيت كان مثل البيوت التي كنت أراها في الأفلام دائمًا، كنت أريد أن أصور كل شِبر فيه وأجعل أمي تراه..

دخلت لأتامله من الداخل، كانت ألوانه متناسقة وأثاثه بسيطًا ومُريحًا.. صعدت للطابق الثاني لأجد بابًا مكتوبًا عليه

«The best view»

وأعتقد أن سام تخبرني أن هذه الغرفة لديها الإطلالة الأفضل.. ابتسمت ودخلت لأجد سريرًا لونه أبيض كبير،



ودولابًا نفس لون السرير، والغرفة بأكلمها زجاج والسقف باللون الأزرق وبه نجوم، وهناك مكتبة كبيرة بها بعض الكُتب، وعليها ملاحظة تقول: «أعلم أنك ربما أحضرتِ كتبك المُفضلة معك.»

أحضَر عُمر حقائبي، وأخبرني أن البيت رائع وشكرته كثيرًا على كل شيء، وأخبرني أنه يجب أن يذهب الآن، ولكن سنحتفل ليلًا أنا وهو وسام، وهناك ملاحظة على الدولاب أو بداخله بالتأكيد تخبرك بها، وعندما ذهب وجدتني أرقص رقصتي السعيدة وأغني بصوت عالٍ كما لم أفعل أبدًا.

شعرت بالحُرية وقررت أني أستحق حمَّامًا لطيفًا ساخنًا لأتخلص من بقايا الماضي، وشغلت مزيكا بصوت عالٍ، وعندما خرجت من الحمَّام فتحت الشنط وقررت أني لن أبقى يومي الأول في البيت، ولكني سأكتشف المنطقة والناس.

عندما خرجت من البيت حاولت قدر الإمكان تذكُّر مكان المنزل فأنا سيئة بالتذكُّر، دائمًا ما كانت تنعتني أمي بـ «ذاكرة السمكة».

فابتسمت واستنشقت الهواء، حتى هنا الهواء مختلف، نقي.. يجعلك تشعر أنك حي.. بقيت أتنزه حتى وجدت «كافيه» وقررت أن أشرب قهوة وإن كانت جيدة سيكون هذا مكاني المفضل بعد غرفتي الرائعة وسأهرب هنا كلما شعرت بالوحدة..



دخلت لأطلب قهوتي ويلفت نظري شاب يحمل كتاب « كافكا على الشاطئ»، شعره يميل للبني الفاتح ويرتدي «تيشرتا» رصاصيًّا وبنطالًا «جينز» فاتحًا، وأمامه قهوة، ولا أعلم هل وقعت في حُبه أم في حب الكتاب الذي بيده.. أنا عادة فتاة خجولة ولا أحب أن أجعل شابًا يشعر أنني أهتم به، ولكني جلست إلى أقرب طاولة له وأخرجت مذكراتي.. ربما شعر بنفس الشيء لي أو على الأقل نجحت في أن ألفت انتباهه، ابتسم لي ولم أملك سوى أن أبتسم له بالمقابل.

- مرحبًا، حاولت تخمين اسمك منذ اللحظة التي دخلتِ فيها ولكني لم أستطع.

- إيلين.. اسمي إيلين.

علم أني لست بريطانية؛ فأنا أتحدث باللكنة الأمريكية.. رجل يتحدث باللكنة البريطانية ويحمل كتب كافكا، لن أستغرب إن وقعت في حُبه أبدًا.

كان لبقًا جدًّا، يختار حروفه بعناية، حاولت ألا أنظر لعينيه ولكنه ينظر بطريقة تجعلك مجبرًا على أن تتواصل معه وتنظر في عينيه.. كم هي ساحرة!

شعرت بالتعب فكان يجب أن أذهب إلى البيت لأنام قليلًا، أخبرني أنه يريد أن يوصلني للبيت وجدت هذا مريبًا، ولكني أعلم أنه ليس بالريبة التي أتخيلها هنا.. قال لي بطريقة غير مباشرة أننا ممكن أن نصبح أصدقاء بالوقت، قال «من يُحب



كتابي هو صديقي».. فمشيت معه وأنا لا أعلم حقًا أين هو المنزل وأحاول أن أتذكر حتى وجدت نفسي أمامه بالصُدفة وصرخت قائلة: «هذا هو».. ابتسم ولم يطلب رقم هاتفي بل أعطاني كتابه وكتبَ عليه «إذا أعجبك كتابي، هاتفيني».. لطالما قرأت: «إنك إن تريد أن تعرفني، اقرأ كتابي المُفضل».. ربما هو يشبه كتابه للحد الذي يجعله يقول ذلك.

دخلت لأجد سام تشرب نبيذًا أعتقد، وكانت قلقة، أخبرتها أني تعرفت على ذلك الشاب، سألتني «ما اسمه».. لم أعلم، لم أسأله!.. يجب أن أتذكر أن أسأل الناس عن أسمائهم حقًا، أخبرتها أنه أعطاني كتابه وكتب لي رقم هاتفه ولم أسأل عن اسمه ولم يسأل هو عن اسمي، قالت لي:

– Book nerds.

ولم أشعر أنها بخير، ولكني لم أشعر أنني لدي الطاقة لأقول حرفًا، شعرت أنني سأنام وأنا واقفة ولكني ابتسمت وتمنيت لو أني أعرف اسمه حقًا، قالت سام أنها هي وعُمر سيحتفلان غدًا بمجيئي وقالت: «لكن يجب أن ترتاحي الآن».. ولكني كنت استلقيت على الكنبة بالفعل ونمت.. لأني استيقظت في اليوم التالي مُغطاة، وهناك ملحوظة بجانبي:

– Good morning sunshine.

ابتسمت، واستيقظت بنشاط لأول مرة من أعوام وكأني تركت كل الحِمل الذي كان بقلبي على كرسي الطائرة،



صنعت قهوة سيئة كعادتي لا يشربها غيري، ثم ذهبت إلى الحمّام لكي أغسل وجهي وانتظرت قدوم سام وعُمر، ولا أفكر إلا في ذلك المجهول وكتابه وكأني نمت فاستيقظت بلا ماضي سواه.. كأني إيلين جديدة.. ابتسمت لأني لأول مرة منذ أعوام أشعر أنني بخير.

نظرت إلى حقيبتي لأجد بجانبها كتاب الفتى المجهول، لا أعلم هل أذهب إلى الكافيه مجددًا أم أقرأ الكتاب أولًا، ولكني في كل الأحوال أشعر أن بطني تؤلمني من التوتر كلما تذكرته، وهذا شيء جديد، وجيد لأكون صريحة.

فقررت أن آخذ حمامًا صباحيًّا مُريحًا عساه ينزلق مع الماء من عقلي، أو يتبخر مع بُخار المياه ويترسب على الأرض أو المرحاض لا أعلم.. ضحكت لأني تخيلته مترسبًا على المرحاض.. ومن سخافة تفكيري.

خرجت لأقرر ماذا سألبس، أنا لست مُحجبة، ولكني متحفظة في لبسي، ولم أرد أن يُغير قدومي إلى هنا هذا أبدًا.

وجدت هاتف المنزل يرن، لا أحد يعلم مَن أنا، من سيتصل.. ربما كان هذا المنزل لقاتل متسلسل وأهل أحد ضحاياه يريد أن ينتقم.. إيلين!، هل حقًا سيتصل أحد بأحد ليقول له «هل أنت هنا، أريد أن أقتلك».. كفاكِ عبثًا.. أجبت لأجد أحدهم يقول: «إيلين».. صوته، ولكنته.. ولكني لم أكن متأكدة فأجبت: »من؟».. قال:



- هل أعجبكِ الكتاب؟

- من أين لك أن تعلم برقم هاتف منزلي، أنا نفسي لا أعلمه.

- عندما تعلمين عنوان المنزل لا يكون أي شيء صعب.

- حسنًا، وهل لي أن أعرف اسمك؟

- آدم.

كُنت أعلم أن اسم آدم ليس مقتصرًا على العرب فقط، ولكن مع ذلك صمتُّ للحظات، ولن أنكر أني أحببت اسمه، أحببته كثيرًا وكأنه هو آدم الأصلي، آدم الذي هو أب جميع الرجال، وأصلهم.. هو أول رجل يجعلني أتوتر وأخجل حتى أبدو بهذه الحماقة، طبعًا آدم، كان يجب أن أتوقع.

قطع تفكيري الصامت صوته وهو يقول بلكنة بريطانية تجعل قلبي يذوب.

- أنا أمام الباب.

لأترك الهاتف وأخرج له، لأجده معه الكثير من كُتب الأدب الإنجليزي القديم، بقيت مندهشة أتأمله بصمت حتى اقترب وقال:

- إيلين، هل تستطيعين حملهم أم ماذا؟

لأقول بلا وعي:



- أم ماذا، ستحملهم أنت، يا لحظ هذه الكُتب.

ليضحك بشدة ثم يقول:

- حسنًا، يبدو أن سهرتك كانت حافلة، ويبدو أيضًا أنني أنا من سيحملهم.

وبالفعل حملهم للداخل وأنا وقفت أفكر: هل يجب أن أنتظر أول سيارة وأرمي بحالي أمامها حتى أموت أو أدعو أن تنشق الأرض وتبلعني، ما هذا الذي أفعله أنا!

أخبرني بلكنة بريطانية أقع في عشقها كلما تحدَّث:

- كم يبدو بيتك دافئًا ومُريحًا.. يُشبهكِ.

لأبتسم وأتذكر أنه لا يجدر به أن يكون هنا في منزلي وأنا وحدي، ولكن حقًا كل شيء بداخلي يجعلني أشعر بأمان معه.

فسألته: «هل تريد قهوة؟» ولكنني أقسم إني كنت سأشكره وأخبره أن يرحل بطريقة لطيفة.

أنا لست خبيرة بصُنع القهوة لأكون صريحة فأخبرته:

- هذه ستكون المرة الأولى الذي سأصنع فيها قهوة ويشربها غيري، صدقني، هي بذلك السوء.

لأجده يبتسم ويخلع معطفه ويخلع قلبي من مكانه معه.. واقترب ليساعدني.. كان يرتدي «تيشرتا» لونه أزرق كلون عينيه تمامًا.. هل يجب أن يكون بتلك الوسامة؟ أنا أحاول أن أقاومه هنا!



كان يعمل القهوة أمامي وكأنه يرسم لوحة لا فنجان قهوة، وللحق كان أفضل فنجان قهوة شربته بحياتي.

كان ينتظر رأيي وكأنه في مسابقة أفضل قهوة وأنا الحكَم، وعندما رأى تعبير وجهي لم ينتظر أن أنطق، ووجدت في عينيه نظرة المنتصر، كان يبدو رائعًا.. لم أجرؤ أن أسأله عن أي شيء.. كنت أخاف من الإجابات.. سِنّه، ديانته، عمله.. كنت أخاف أن ينتهي ما بيننا بإجابة؛ ففضلت السكوت، ولم يكن شخصًا يتحدث كثيرًا.. كان معظم كلامنا صامتًا، وأحببت ذلك، أحببته كثيرًا.. كم هو رائع أن تجد من تصمت معه ويكون صمتًا ذا مغزى.

جاء سام وعُمر ليجدا آدم يشرب قهوته وكنت أنا أتأمل الكتب ومعي فنجان قهوتي، شعرت بالخجل قليلًا ولكن لا يهم الآن حقًا.. تعرفا إليه وشعرت بتوتر بين عُمر وآدم لم أعلم سببه، سأله عُمر عن ديانته وفرحت كثيرًا أن أحد سأل هذا السؤال عني، ولكن جاوبه آدم أن دينه له ولربه وأنه لا يحب العنصرية، وشعرت بالخجل لأجل عُمر وشكرت الله أني لم أسأله، ولكن كان هناك شيء بداخلي يخبرني إن كنت أنا سألته لم يكن ليحرجني بتلك الدرجة.

***

مر شهر الآن.. ألتقي بآدم كثيرًا، نشرب قهوتنا معًا، لا أعلم ماذا أفعل أنا؟، أنا هربت من حُب قديم ومؤذٍ لآتي



إلى هنا وأقع في عشق مستحيل، ولكن أنا لا أعلم إن كان مستحيلًا أم لا.. لا أعلم وهذا ما يرهقني فأنا حتى ليس لدي فرصة الاختيار.. فقط أحب أن أراه، وأحب أن أجعله يضحك، أحب عينيه اللتين تشبهان البحر بمقدار حُبي لبحر إسكندرية.. ربما هناك حب من أول نظرة وحب من أول كتاب!

الآن أنا يجب أن أبحث عن عمل، فأنا طبيبة نفسية، ولكني في البداية مستعدة لأن أعمل أي شيء؛ فالمال لا يزرع على الشجر وحتى لو كان؛ فأنا مزارعة رديئة حقًا، لقد ذبل الزرع الذي وضعته سام عند شبّاكي، ربما يجب أن نهتم بالشيء كي لا يذبل ويموت، جاءت سام وصرخت حين رأت الزرع وأكاد أجزم أن صوتها تحشرج وكانت ستبكي؛ حينها علمت أن الإنسانية تشمل الزرع أيضًا، وشعرت بتأنيب الضمير.

جاءت واكتشفتُ أنها وضعت عندي زجاجتين من النبيذ لتشربها هي عندما تأتي، وكانت تسألني إن كنت بخير وإن كنت أحتاج أي شيء.. هي فتاة رائعة، في قمة الجمال، شقراء ذات جسد رشيق وعيناها تشبهان الزرع، وربما لذلك تحبه كثيرًا.. قلت لها إني أفكر أن أعمل، قالت لي إنها ستبحث عن شيء مناسب لي.

لم يتصل بي آدم اليوم أبدًا، فشعرت بالفضول وسألتها: «ماذا لو ذهبنا إلى المقهى لنشرب القهوة ونتحدث؟».



كانت تعلم أني أريد أن أرى آدم ولكنها لم تتحدث، وجدته ولكنه كان جالسًا مع فتاة، كانت تبكي أعتقد، كان صامتًا كعادته ولكن أعتقد أن صمته كان يقتلها، سام قالت:

- ربما هي حبيبته السابقة - ثم قالت بخُبث- أو الحالية.

شعرت بنغز بقلبي حين قالت «الحالية».. حقًا لمَ لا تكون الحالية؛ فمن مجنون يقع بحب أحد بعد شهر واحد من مقابلته، ولكني كنت أحاول أن أجد له مبررًا بداخلي وأخبر نفسي أنه مجتمع متفتح، ربما هي صديقته فقط.. لا أعلم ولكني أردت أن أرحل، أتبخر.. أردت أن أضربه وأحضنها لتبكي بحريتها وتتألم، ولكن ليس أمام هذا الحجر، كنت أخاف منه ومما أشعر، ومَن هذه الفتاة بحق الجحيم!

لم أرحل حتى لا تشعر سام بشيء، ولكنها شعرت بكل شيء، رأت ذلك الحزن على وجهي، وربما كانت تقصد أن تنبهني أن ليس كل مَن هو لطيف، يحبني.. ولكن في بلدي، لا يكون لطيفًا معك سوى من يحُبك، الناس هُناك بمنتهى القسوة واللامبالاة، لا أحد بلطافة آدم، ولم ينظر لي أحد مثلما ينظر آدم إلا واعترف لي بحُبه بعدها، لا أعلم ربما حقًا هناك فرق بين هنا وهناك.

رآنا آدم، وربما كان يرانا منذ البداية وما زلت تلك الفتاة تبكي، وما زلت أريد أن أتبخر.. تركها!، نعم تركها تبكي وجاء ليجلس معنا.. لم أستوعب ذلك،



شعرته أحمق وسخيفًا وقاسيًا مثل الحجر، ولكنه اقترب مني وهمس قبل أن يجلس: «لا تتأثري، تلك دموع التماسيح، هي خائنة».

لم أعد أعلم هل أشعر بالسوء من أجله أم من أجلها، حتى وإن كانت خائنة، لا أعتقد أن أحدًا يستحق أن يُعامَل بهذا السوء. كان صوته حزينًا، ولكن كأنه مُجبر أن يبرر لي كل ما حدث بصمت كما يفعل دائمًا.. نظرت له سام بحزن ولكنه كان يبدو عليه أنه لا يريد أن ينظر له أحد نظرة الشفقة فقالت سام أن لديها عملًا ويجب أن ترحل، حاول هو تغيير الموضوع وسألني:

- هل وجدتِ عملًا؟

- لا ليس بعد.

- هل هناك شيء معين ببالك؟

- لا أعلم، فقط أريد شيئًا مناسبًا حتى أستطيع أن أفتح عيادتي الخاصة.

- حسنًا، أخبريني ما رأيك بالعمل معي؟

ابتسمت لأن عملًا معه يعني قضاء وقت أطول معه ومعرفة كل شيء عنه عن قرب فقلت:

- يبدو رائعًا أعتقد.

ابتسم هو وكأنه كان ينصب لي فخًا ووقعت فيه أنا بمنتهى البساطة وسألني:



- هل تعلمين ما العمل الذي قبلتِه للتو؟

- ...

- حسنًا إذًا، أنا لدي شركة وأحتاج إلى مساعدة جيدة ولكن لا أثق بأحد بسهولة، هل يمكن أن تساعديني.

لم أعلم هل هي فكرة جيدة أم لا ولكني وافقت وكان الراتب جيدًا جدًّا في الواقع.

قد مر اليوم بسلام ظاهري، ولكن كان بداخلي تساؤلات عديدة، لماذا أنا أريد أن أكون معك لهذه الدرجة، ولماذا وافقت أن أكون مجرد مساعدة غبية على أن أكون طبيبة تحت التدريب في أي مستشفى جيدة.. فقط لأكون معه؟؟

ألم أعاني بما فيه الكفاية من الحُب، ألم آتِ إلى هنا هربًا من وجع القلب، ألم أقسم ألا أقع في الحُب مجددًا؟

قطع صمتي وتفكيري ووحدتي خبط على الباب، وجدت سام تبكي.. لا أعلم ما بها، لا أعلم أي شيء ..كل ما أعلمه أنني يجب أن أحتضنها لتهدأ، قالت بصوت متقطع: «رأيته، كان معها.. رأيته»، لم اكن بحاجة إلى توضيح أكثر؛ فـ «سام» مرتبطة بشاب منذ أربع سنوات، يحبان بعضهما كثيرًا، يتفهم سفرها الدائم، ولكن من الواضح أنه كان يتقبله لكي يعيش نزواته بحُرّية.

أخبرتها أني سأعدّ لها بعض القهوة - فقد تعلمتها من آدم - وأن تستحم وتبقى عندي، فبالرغم من كل شيء أنا سعيدة لأني أخيرًا سيكون لدي صديقة سكن.



سهرنا للفجر، حكت لي عنه.. كانت تتألم وتشرب نبيذًا وكأنها كلما شربت كلما استطاعت أن تتذكر كيف كانت حمقاء وكان أمامها الكثير من العلامات، كانت تبكي وتصارع وجعًا لا أرى أنها تستطيع أن تتحمله إن كانت في وعيها، قالت لي:

- انفصلنا عدة مرات ولكن كنت أعود دائمًا، كنت أريد أن أعود، كنت أريد أن أرى أملًا أن يتغير، كنت فقط أنا التي أريد وكُنت أغمض عيني عن كل شيء.. كنت أريده أن يكون مثاليًّا فكنت أغمض عيني عن كل حماقاته، ولكنه رغم كل ذلك لم يعد يحبني أو ربما ظن أني سأحبه مهما فعل.. ولكن ليس هذه المرة أبدًا.

ذكرتني بكل ما هربت منه، لم أرد أن أتحدث عما بداخلي، بكيت معها ونمنا معًا على نفس السرير.

استيقظت صباحًا أستعد لعملي الجديد كمساعدة غبية لرجل في قمة الوسامة والجاذبية لدرجة أني أنسى أن أمي عملتني كلمة «لا» أمامه.. خرجت لأجده أمام منزلي في التاسعة.

- صباح الخير، نسيت أني لم أخبرك بمكان العمل فسأوصلك اليوم ولكني لا أحب أن يتأخر أحد موظفيني عن العمل.

شعرت بالخوف لوهلة، كيف يكون ذلك الرجل هو الذي جاء بالكتب أمام باب بيتي، ولكن لا بأس.. ابتسمت

له، خرجت وركبت معه.. ركبت سيارته، كانت أنيقة جدًّا، يبدو لي ليس مجرد مالك لشركة صغيرة؛ فيوجد سائق أيضًا.

ركبت لأجد بجانبي هدية، تبدو صغيرة ولكنها مغلفة جيدًا، نظرت له فابتسم، هل يحضر الهدايا لكل من يعمل لديه، لا أعلم ولكني فرحتُ، لأفتحها وأجدها سلسلة رائعة الجمال فقال:

- وجدت أن عنقك حُرٌّ، وكأن ليس هناك أي علامات على مرور رجل في حياتك.

- وهل يجب أن أرتدي سلسلة لأكون في علاقة.

- بل، لتكوني واقعة بالحُب.. فليس بالضرورة أن تقوم كل العلاقات على العشق، هناك علاقات تقوم على العشق وهناك علاقات تقوم على الصداقة أو المصلحة، سواء عملية أو جسدية.. الحُب شيء نادر صدقيني يا إيلين.

صدمني رده، كم من علاقات أقامها بدافع المصلحة أو الشهوة إذًا، يجب أن أتوقف عن تلك الأسئلة الساذجة، هنا ليس الشرق.. هنا كوني في سني وعذراء يعتبر جريمة لجسدي ولنفسي، هنا العلاقات فطرة طبيعية وليست خطيئة ولو إن لا يحلله دين.

وصلت إلى الشركة.. كانت مبنى كبيرًا وليست شركة صغيرة كما ادعى، لم يخبرني أنه رجل أعمال أو لا أعلم ما اسمه هُنا.. كل من يراه يبتسم له في ود ويقول له:



«صباح الخير مستر آدم».. لماذا كل تلك الفتيات رائعات الجمال هكذا.

أوصلني إلى مكتب في قمة الفخامة، كل ما فيه أبيض وبه الكثير من الرسومات على الحائط، أفقت على صوت الباب وهو يقفل ويخبرني:

- أحب «فان جوخ» كثيرًا فهو يجبر بألوانه ما تهشَّم بداخلي ورأيت ببيتك أنكِ تحبين الأبيض.

ابتسمت له ليكمل:

- أحببت فتاة فأحببته.

كانت الجملة غير صادمة بالنسبة لي، فرجل في الثلاثين قد يكون وقع في الحُب مئات المرات.

أفاق وكأنه كان مغيبًا وهو يحكي ثم قال: «يجب أن تدوّني كل مواعيد الاجتماعات والتسليمات، الأمر ليس بهذه الصعوبة هو فقط جديد عليكِ.

أخبرني كل ما يجب أن أعلم وأخبرته كل ما يحتاج أن يعرفه، أخبرته أني أنسى كثيرًا، ضحك وهو يقترب ليخبرني:

- لا بأس، سأخبرك مرتين حتى أتأكد أنكِ دوَّنتِ ما طلبته منكِ.

يبدو كأنه يريدني أن أعمل معه ولكن الطبيبة النفسية التي بداخلي تريد معرفة ما به، سبب تحفظه وخوفه الدائم، هو ليس بخير، فقط لا أعلم ماذا يعاني.



تركني وذهب إلى مكتبه الذي يجاور مكتبي، ووجدت كتب كافكا، الكثير منها وعليها ملاحظة «حين يتجاهلك مديرك، اقرئيني».. ابتسمت.

أخذت أفكر: هل أنا أريد العمل معه حقًا من أجل المال أم لتضييع وقت الفراغ أم لأجله هو فقط.. ربما كل هذا بنسب متفاوتة.

كلمت أمي كالعادة وأخبرتها عن عملي الجديد وكنا نتحدث على الـ «فايس تايم»، وأريتها المكتب ليدخل آدم فجأة ويجدني أتحدث بالعربية ليبدو عليه الاندهاش، ثم يقترب وهو صامت ليمسك هاتفي ويرى أمي ولكنها لم تكن ترتدي الحجاب، وعندما رأته حولت الكاميرا حتى ارتدته وتحدَّث معها بالعربية بطلاقة.. كنت أنا من اندهش الآن، وعندما انتهى مع أمي نظر لي وابتسم ورحل.. أخبرتني أمي أنه وسيم جدًّا ولكني لم أكن أنتبه لها حقًا فأخبرتها أن لدي عملًا الآن ويجب أن أغلق.

ذهبت له وسألته بنبرة غاضبة:

- ليه ما قُلتليش إنك عربي؟

- لأني مش عربي.

- ...

- أبويا مصري بس ما أعرفهوش، طول عمري عايش هنا، ومن وقت للتاني كنت بسافر مصر لحد ما اتعلمت المصري كويس مش أكتر.



لم أصدق هذا الهراء، فلغته العامية المصرية كانت طليقة، وليس مجرد سائح يذهب لبلد أبيه من وقت لآخر.

ليكمل:

- إنتِ كمان ما قُلتيش إنك عربية ولا مسلمة.

- ما جَتش فُرصة.

ليبتسم وكأنه يستخدم كلامي ضدي:

- بالظبط ما جَتش فرصة.

إنه أول يوم عمل لي في بلد لا أعلم فيها شيئًا مع رجل لا أعلم عنه شيئًا سوى أن عينيه تسرعان تدفق الدم لشراييني.

❋ ❋ ❋



آدم

«منذ ثلاث سنوات»

- هل أنت بخير؟

- أين أنا؟

- أنت في المستشفى، تعرضت لحادث وتحطمت سيارتك، أخبرني هل أنت بخير، بماذا تشعر؟

- جوزيف.. جوزيف وليكسي، أين ليكسي؟

- ...

«منذ أربع سنوات»

- آدم؟

- صباح الخير حبيبتي.

- كيف حالك؟

- بخير طالما أحبك، وأنتِ.

تضحك ليكسي وهي تخبره:



- أنا أسعد امرأة بالعالم .

ليقطعهـا كارتـر - العامـل بالمنـزل- يدخـل ومعـه كعكـة عيـد ميـلاد كبـيرة وعليهـا صورتهـا ويغنـي لهـا هـو وكارتـر أغنيـة العيـد ميـلاد المفضلـة لديهـا.

يخرج كارتـر بعـد أن قطـع لهـا الكعكـة ويخبرهـا آدم أن عنده اجتـماع هـام، يجـب أن يرحـل الآن ولكنـه سـيكون هنـا عنـد السـابعة ويجـب أن تكـون جاهـزة، تبتسـم لـه في حُـب وتهمـس لـه:

- أنت هدية كل عيد ميلاد، لا تتركني أبدًا.

ليقبلها ويقول:

- حسنًا، ولكن يجب أن أتركك الآن للأسف.

ليتركها سعيدة، سعيدة للغاية.

تحدثـت ليكـسي مـع صديقاتهـا وأخبرتهـن أنهـا يجـب أن تسـتعد عنـد السـابعة وبذلـك لـن تسـتطيع أن تذهـب معهـن ليحتفلـن بعيـد ميلادهـا فقررن أن يحتفلـن في منزلهـا قبل السـابعة ويجعلنهـا تستعد، ومـا هـي دقائـق حتـى وجـدت ليكـسي امـرأة عـلى البـاب وتحمـل بيدهـا فُسـتانًا وعلبًـا كثـيرة وخلفهـا طاقـم عمـل كامـل وتقـول لهـا المـرأة:

- اسمي نينا وأنا هنا لمساعدتك بأوامر من مستر آدم.

لتبتسم ليكسي وتسمح لها بالدخول وهي في قمة سعادتها.



ذهب آدم إلى المطعم الذي استأجره بأكمله للاحتفال بعيد ميلاد ليكسي، وليتفق مع عازف الموسيقى وكل شيء.

يقول لهم بصوت مُحفز: «أريد كل شيء مثاليًّا الليلة».

ليتذكر ملامحها ويبتسم وهو يقول بصوت يقرب للهمس: «أريد كل شيء مثاليًّا مثلها».

❋❋❋



إيلين

إنه رجل مشغول دائمًا، أنا لا أعلم هل كان لديه وقت أبدًا لإقامة علاقات، ربما كانت لهذا السبب تبكي الفتاة، ربما حتى لا يجد وقتًا لها، ولذلك خانته وربما لم تخنه.. لا أعلم.

وضع لي كتبًا كي أقرأها حين أكون في وقت الفراغ، ولسخرية القدر أريد أن ادخل الحمّام لنداء الطبيعة لأكثر من ساعة ولا أستطيع لأني في اجتماع معه.. كم يبدو وسيمًا وهو جاد، يتحرك قليلًا، يتواصل بعينيه مع العملاء ليثقوا به.. لا أستطيع التوقف عن العمل كطبيبة أراقب أدق تصرفات البشر ولغتهم الجسدية أظن.

لا أستطيع التوقف عن التحليق والتحديق وأنا معه، لا أعلم هل سيكون كل شيء بخير أم فقط سيسوء الوضع؟

لا أعلم.. هل أنا عشقته حقًا.. لا إنه مُجرد إعجاب بغموضه وشخصيته وعينيه، ولكني لا، لست عاشقة.





آدم

- آدم أنت الآن في السادسة عشر من عمرك، يجب أن تعلم لم انفصلنا أنا ووالدك.. انفصلنا لاختلاف الدين والعادات والتقاليد، لقد عانينا معًا، لم يكن سهلًا ولم يتقبل أحدٌ منا اختلاف الآخر بالطريقة التي كنا نرجوها.. فأنا مسيحية وأبوك مسلم، لم أستطع أبدًا أن آخذك معي للكنسية لأنك مولود مسلم مثله بالفطرة، أخبرني بذلك بعد ولادتك.. ظن أنني كنت أعلم، لم يجبرني يومًا على اعتناق الإسلام ولكنه أجبرك دون أن أعلم.. أنت الآن حُر لتختار عقيدتك ودينك.. أنت الآن حُرٌّ لتختار.

❊ ❊ ❊



إيلين

تبدو عيناه كالمحيط، ليست مجرد عينين زرقاوين.

ينظر لي ويسألني:

- هل انتهت اجتماعات اليوم؟

أتمنى لو أنها لم تنتهِ ولكنها انتهت.. يبتسم لي ويقول:

- كيف كان يومكِ الأول؟

- مرهق ولكنه انتشلني من التفكير وهذا ما يهم.

- رائع، سأنهكك إذًا.. ستبقين معي طوال اليوم، ولن أغفل عنك.

- هل هذا جيد؟

- لي نعم، أما بالنسبة لكِ ستلعنين اليوم الذي دخلتِ فيه المقهى حتى.

ابتسمت في صمتٍ؛ فلا شيء سأقوله سيجعل قلبي يتوقف عن الدَّق بسرعة مريبة.

ذهبت إلى البيت وأنا مرهقة.. لم أقم بأعمالٍ مرهقة هكذا من قبل.. كنت أظن أن رجال الأعمال لا يفعلون شيئًا سوى



الجلوس في مكاتبهم الفخمة والسفر والمتعة ولكن حقًا يستحقون.. ذهبت إلى البيت كأي كائن عربي يظن أن يومه ينتهي عند انتهاء عمله، ووجدت في الواقع أن يومهم يبدأ بعد العمل.. كيف تكون لديهم الصحة والطاقة حقًا لا أعلم!

وجدت سام وعُمر عندي، يريدان أن نحتفل بأول يوم عمل ولكنني سألت سام:

- هل يمكن لامرأة أن تحتفل بأول يوم عمل لها نومًا؟

أجابت:

- لا، لا.. هل ذكرت كلمة «لا»..

لأفتعل البكاء وأنا أدبدب في الأرض ليضحك عُمر ويهددني إن لم أسمع الكلام سيحملانني عنوة للذهاب.

استسلمت لهما وذهبنا إلى بار.. أخبرتهما أنني لا أشرب ولكن بإمكاني أن أشرب برتقالًا أو صودا ولكني حقًا فضلت لو أني أذهب إلى البحر وأتفرج على الغروب، ولكن ليس كل يتمناه الفرد يدركه.. ذهبت معهما ووجدت آدم هناك، لا أعلم هل كانت صدفة مُدبرة أم صدفة مريبة من القدر، ولكني شعرت بالسعادة لوجوده في كل الأحوال.. في الواقع لأول مرة أشعر بالأمان لوجود أحدهم.

كان معه أصدقاؤه ولم أتوقع أبدًا أن يتركهم ويأتي لنا ولكنه فعل.



أخبرته وكأنني أبرر له وجودي في بار مع النبيذ والخمور في نفس المكان إن سام وعُمر قررا الاحتفال بي، ابتسم وأخبرني «إنه مكان ممتع» فنظرت حولي ووجدت الفتيات معظمهن قد نسين أن يرتدين ملابسهن فنظرت له وقلت «أها، ممتع جدًّا».. فنظر حوله وابتسم، واقترب مني، تفوح منه رائحة سجائره مع النبيذ ممزوجة بعطره المميز وقال:

- رأيت نساء بلا ملابس لدرجة أنني أصبحت أجده شيئًا مقززًا.. أشتاق لرؤية امرأة ترتدي ملابس، صدقيني ليست هذه المتعة التي أقصدها.

كان يتحدث وأظن أنه ثمل لدرجة ليست بسيطة، وثملت من صوته أنا.

لم أشعر بنفسي، ولكني أغمضت عيني عندما اقترب، أصبحت أعتمد لأول مرة على حاسة السمع والشم أكثر من النظر، كأني أرى بأذني وأنفي.

- آدم.

نظر لي وهو ثمل ولكن يحاول التنبؤ بما سأقوله، ولكني لم أكن لأقول شيئًا، فقط أردت أن أقول اسمه.. أظن أن أمه علمت أنه سيكون أول رجل يدب برجليه في قلب امرأة خذلها الحب وخذلته وهربت منه إليه.. ربما كانت تعرف.

ابتسم وكأنه شعر بكل ما شعرت به وقال: «لا بأس».. لم أفهم سبب الكلمة ومغزاها ولكني شعرت بالسَّكينة،



شعرت أني أريد أن أبكي.. أبكي كثيرًا حتى أشعر أن ذلك الثقل بداخل قلبي يختفي.. كأن بداخلي سُحبًا ويجب أن أمطر، بل أهطل لكي أشعر بالصفاء.. لكي أصبح زرقاء.

جلس بجانبي ووضع رأسه على يده وبالأخرى كأس آخر من النبيذ وبقي ينظر لي وأشعر بالراحة لأنه ليس في وعيه وربما لن يتذكر غدًا.

قال لي: «أنتِ جميلة».. ابتسمت له ولم أعلق فأكمل:

- ولكنك حزينة، حزينة للغاية.. يوم رأيتك شعرت بمأساة تقترب مني لا أعلم هل...

ثم صمت وضحك وقال: «أنتِ جميلة جدًّا» وأغمض عينيه، كلهم ثملوا ماعدا أنا أشرب صودا، شعرت بالمسئولية تجاه إيصالهم لمنازلهم بخير، ولكن عُمر قال إنه سيوصل سام وطلب مني أن أوصل آدم.. شعرت بالخوف ولكنه قال إني جميلة للغاية.. هو ثمل للغاية، على كل الأحوال أخذت موقع بيته وأوصلته بسيارته.. لم يستطع الوقوف فاقتربت منه لأسنده ولكنه قال أنا بخير، ولكنه سقط فحاولت أن أساعده على الوقوف مجددًا ولكني سقطت بجانبه ولم يمنعني من المحاولة سوى أنه ضحك بشدة.. ضحك حتى بكى، بكى وكأنه كان ينزف روحه، نظر لي وقال: «اجعليه يتوقف، ذلك الألم».. بكيت بجانبه على الأرض وتمنيت لو أنني أستطيع أن أنزعه من داخله، وجدته يضع رأسه على رجلي،



ودموعه ما زالت تنهمر ولكنه صامت، وكأنه شلال وكأن من الطبيعي أن تنهمر دموعه من عينيه دون بكاء.. شعرت بالحُزن من أجله لا الشفقة.. بقيت على الأرض وبقي نائمًا يبكي، حتى نهض وقال: «أنا لم أقصد ذلك أبدًا، أنا لم أكن أعلم».. بقي يهلوس بكلام غير مفهوم حتى ساعدته على النهوض وأدخلته إلى غرفته، خلعت له جاكيته وحذاءه وجعلته يستلقي وغطيته ثم نظرت له وقلت: «كل شيء سيكون بخير، يجب فقط أن تنام الآن.. حسنًا؟».. قال: «حسنًا يا أمي».

صدمتني الجُملة، هل يراني أمه أم أني تحدثت كأمه، لم أبالِ ولكني شعرت كأني أمه حقًا.. قبّلت جبينه وأخبرته

- ابني، يجب أن ترتاح الآن..

- هل يمكنك أن تبقي.. أمسكي بيدي.

ابتسمت له وأمسك يدي وشعرت أني تمثال، تحنطت، وكأني فقدت السيطرة على أطرافي ولم أعد أشعر بها، كأنها أصبحت تنتمي له.

همس:

- ليكسي، أنا آسف.

لم أعرف من هي ليكسي ولكن آخر شيء أريده الآن هو أن أشعره أني لست أمه أو ليكسي وأنه يمسك بيدي أنا إيلين فأخبرته:



- لا بأس، أنا أسامحك..

بكى وهو يقول: حقًا؟..

قبَّلت يده وقُلت: حقًا جدًّا، نَم الآن لتستيقظ بخير.

وأكاد أجزم أني شعرت بالغيرة من نفسي لأني تقمصت شخصيتها ولأنها لها ذلك التأثير عليه.

ماذا فعل لها؟، جلست بجواره شعرت بالخوف من تركِه بهذه الحالة ولكني لا أستطيع أن أبقى.. سأرحل بمجرد أن أطمئن أنه نام ولن يستيقظ مجددًا.

جلست بجواره أتأمل ملامحه، شعره، ذقنه، الذنب الذي يحمله قي قلبه، وجهه الذي يبدو عليه الحزن رغم أنه نائم.

❋ ❋ ❋



آدم

«الآن»

استيقظت لأشعر بنفس الصداع بعد كل مرة أثمل فيها، لم يستطع جسمي أبدًا أن يتعود على الخمور وربما لن يتعود.. استيقظت لأجد إيلين نائمة على أريكة غرفتي، هل ما زلت ثملًا وأتخيل؟.. إيلين التي لا تسلم عليَّ بيدها موجودة الآن بغرفتي نائمة.. هل عليَّ أن أحملها لتنام على السرير أم سأكون في نظرها من المتحرشين وتحلل لي الرجم.. لا أعلم ولكني وجدتها فرصة عظيمة لتأمل ملامحها.. مؤكد هي من أوصلتني ولكن بأي سوءٍ كانت حالتي لكي لا أتذكر أي شيء ولكي تبقى معي؟، ولكني يمكنني أن أتوقع من ذلك الصداع أني لم أكن بخير أبدًا.. هل أستطيع أن أقنعها أن تبقى معي كل صباح لأستيقظ وأجدها.. إنها تبدو كالملائكة.. نهضت لأعد لنا كوبين من القهوة فيجب ألا نتأخر على العمل.. فما يحدث بالليل، يبقى بالليل.



أعـددت القهـوة لألتفـت وأجدهـا حـولي تبتسـم لي وكأني بُعِثـت مـن مـوت محقـق ليلـة أمـس.

- صباح الخير.

- شـكرًا لأنـك سـاعدتِني، وأعتـذر لأني وضعتـك في هـذا الموقـف.

- لا بأس، أنت مُدين لي.. لا تقلق.

شربنا قهوتنـا في صمـت ممتـع، صمـت رائـع، تتقابـل نظراتنـا مـن حـين لآخـر ونبتسـم ونسـتمر مـن حيـث توقفنـا في صمتنـا وكأنـه حديـث شيق.

ولكـن، هـل يمكـن أن يبـدو أحـد بهـذا الجـمال وهـو مسـتيقظ مـن على أريكـة.. كـم أن نظراتهـا جميلـة.

وكأن قفزت أفكاري لفمي وقلت:

- أنتِ جميلة جدًّا.

- أعلم، أخبرتني وأنت ثمل البارحة.

يـا تـرى مـاذا أخبرتهـا أيضًـا؟، هـل أخبرتهـا أن تؤلمنـي نظراتهـا وضحكتهـا، هـل أخبرتهـا أني أعشـق نظراتهـا وكيـف يطير شعرها دائمًا بحرية على كتفيهـا، هل أخبرتها كـم وددت أن أقبّـل كتفيهـا وأحتفـظ برائحتهـا بداخـلي؟

- حقًا . وماذا أخبرتك أيضًا؟



- ليس أمرًا هامًا، أخبرتني أسرارك الدفينة وكم علاقة دخلت ومَن أعجبتك ومَن لا.. أخبرتني الكثير.

- ليس صحيحًا أبدًا.

- لو كنت متأكدًا مما قلت، لِمَ سألت؟

- ...

- هذا ما ظننته.

- سنتأخر على العمل.

- حسنًا سأصمت.

لماذا تبتسم.. هل تتحداني، هل أخبرتها حقًا كل شيء، هل أخبرتها؟





إيلين

لقد هربت، لقد تركت كل شيء بسبب وهم حُبٍّ يؤلمني وجئت إلى هُنا لأقابل ذلك الرجل وأقع في عشقه دون أدنى مجهود منه.. هل هذا عدل؟، أن أهرب من وهمٍ لأواجه الحقيقة.

أنا لم أشعر بذلك من قبل، ومع ذلك تألمت كثيرًا، كثيرًا.. أو ربما الوجع هو وهمٌ أيضًا.. لا أعلم ولكني تألمت كثيرًا ولا أريد أن أتألم مجددًا، أريد أن أبتعد.. أنا خائفة، خائفة جدًّا.

جالسة الآن في مكتبي وهو بمكتبه يدّعي أنه مشغول ليهرب من مواجهتي، ربما أخبرته أنه أخبرني كل شيء كذبًا لأجعله يخاف مني ومن مواجهتي أو يا تُرى جعلتها أسهل، لا أعلم أنا محتارة.. أريد أن أهرب بعيدًا، وكلما حاولت الهرب أجدني أهرول إليه.

حسنًا إيلين فلنعترف، أنتِ فاشلة.. تقعين في عشق كل شيءٍ جميلٍ، تقعين في عشق وردة، فنجان قهوة مصنوع بحب، ماذا لو كان شخصًا مثل آدم.. آدم وملامحه ورائحته وصوته وضحكته وغموضه.. بالطبع ستحبينه.



و كأن القدر يريد أن يُخيرني بين أن أبقى أو أرحل، وجدت «سام» تهاتفني وهي تخبرني أنها وجدت لي مكان كمتدربة عند واحد من أشهر الأطباء النفسيين .

حسنًا، حان وقت مواجهة نفسي، ولكن أعلم أنه سيقتلني يومًا سؤال: «هل هذا حقًا ما أريد؟» لطالما لم أعرف وأظن أني لن أعرف أبدًا.

ذهبت إليه.. يجب أن ينتهي هذا العبث.

- آدم، لازم نتكلم.

- إيلين؟

- أنا هستقيل.

- ليه، إيه اللي اتغير من إمبارح للنهارده؟

- ...

- بصي، أنا ما أعرفش قُلتلك ايه إمبارح، أنا ماكنتش في وعي تمام، بس انتِ ماينفعش تمشي.

- ..

- قصدي تسيبي الشغل.

- آدم أنا مش بستأذنك، أنا بقولك قراري.

- وأنا مش هقبل الاستقالة.

يقترب آدم فلا أجد مهربًا سوى أن أرجع للخلف، يقترب أكثر حتى يقفل باب المكتب ويقف أمامي وهو يقول



بصوت هامس ولكنه يبدو أقوى من أي صوت سمعته في حياتي: «مش هتمشي، مش هسمحلك».. عندما يقولها بهذا القرب وتلك النبرة أشعر وكأني لا أستطيع الرحيل، لا أستطيع.

ليقطع نظراتنا خبط على الباب لنبتعد فجأة وتدخل فتاة في غاية الجمال مثل كل مَن في هذه الشركة وهي تقول: «آدم، لازم نحكي» فصمتنا ثلاثتنا من الموقف.

ولكن قطع هذا الصمت آدم وهو يقول: «عندنا اجتماع، لازم نمشي دلوقتي.»

لتعتذر وتقول إنها لم تكن تعلم أن هناك اجتماعًا.

لأستفهم أنا: اجتماع ايه؟

ليمسك بيدي ويخبرني أن أتبعه فقط، ثم ذهبنا إلى البحر ومشينا إلى الرمال، وأخبرني إما أن أخبره الحقيقة أو يرميني إلى البحر وبالطبع يعلم أني لا أجيد السباحة، ولكن هل أخبره أني أغرق يوميًّا في عينيه؛ فلن يفرق معي كثيرًا إذا غرقت في البحر! هل أخبره أني أموت يوميًّا وما سيفعله سيكون مثل رصاصة الرحمة أو القتل الرحيم؟!

لم أستطع تحمل كل تلك الأفكار والاعترافات التي بداخلي وكأني فقدت السيطرة على نفسي، لم أجد إلا إني أجلس مكاني وأبكي.. أبكي كل شيء .

جلس بجواري وحاول تهدئتي وهو لا يعلم ما يبكيني،



وقال بنبرة اعتذار جعلتني أضحك وأنا أبكي: أقسم لكِ إني لم أكن أنوي أن أغرقك أو أتركك للموت أبدًا. ثم يحنو صوته وهو يقول: «لم أكن لأفرط فيكِ».. بكيت أكثر فلم يسعه سوى أن يضمني لصدره.. شعرت بقلبه، استنشقت رائحته وبكيت أكثر، وهمست وأنا أبكي «آدم أنا أتألم، داخلي يحترق.. أموت».. ليقبِّل جبيني وكأنه يعتذر مني على ما لا يعرفه.. لا يعلم ماذا يفعل، لا يستطيع أن يسأل فأنا لست في حالة تسمح له بالسؤال أو تسمح لي بالجواب، ولكني أعلم أني سأضطر أن أوضِّح له آجلًا أم عاجلًا.

ربما لا أستطيع الرحيل ولكني لا أستطيع البقاء أيضًا.. أنا أتمزق وكأني أقف في المنتصف المميت بين الرحيل والبقاء ويجذبني كلٌّ منهما وأنا أتمزق لأشلاء بينهما، ولكني من الخارج أبدو كأني في سلام وأقسم إن بداخلي حروبًا أموت فيها يوميًّا.. لم أربح يومًا.

❊❊❊



آدم:

«الآن»

هلكَتْ من البُكاء الصغيرة إيلين، كانت مثل الطفل التائه.. بكت كثيرًا حتى غفت.. الآن هي على الرمل تسند رأسها على رجلي تتأمل الغروب وأنا أتأملها.. دائمًا يموت شيء ليحيا آخر، يموت جد ليولد طفل، يموت نهار ليولد ليل وتموت الشمس لتبعث من جديد.. ويموت حُب لنقابل عشقًا.. سحقًا، أنا عشقت ربما!

فجأة تنظر لي.. تبدو مرهقة أو حزينة لا أعلم ربما الاثنين ولكنها لا تبدو بخير أبدًا.. تبدو وكأنها تعاني ولكنها جميلة، جميلة جدًّا.. الجميلة البائسة.

- تعرف إني مش بحب الغروب، الغروب يعني اليوم بيموت، بحس الشمس بتحتضر، والشعاع الأحمر اللي حواليها نزيف وكإنها بتقول للكون كُله حد يلحقني.. وماحدِّش بإيده ينقذها.



- بس لولا الغروب دا ماكنتيش هتشوفي القمر والنجوم.. بالعكس الغروب موت للشمس وحياة للقمر.. دايمًا في حاجة حلوة في كل حاجة وحشة.. بس بتاخدي وقت لحد ما تكتشفيها.

- أول مرة نتكلم مصري.

- ومش آخر مرة.

ابتسمت.. ونظرَتْ لي طويلًا وعندما همَّت بالحديث قالت: «أنا جعانة».

خرجت مني ضحكة عفوية ربما لأني انتظرت منها إجابة فلسفية حول البعث وحركة الكواكب والموت وهي بمنتهى التلقائية ستجعلني أسألها الآن ماذا تريد أن تاكل وأين، دائمًا ما تجعل الأمور أكثر بساطة حين تكون على أعتاب التعقيد.

حرَّكت رأسها من على رجلي فشعرت وكأن جزءًا مني قد بُتِرَ، شعرت بذلك الفراغ المفزع وكأني أفقدها، وجدتني أخبرها: «لا ترحلي، رجلي شعرت بالفراغ من عدم وجود رأسك، فقلبي سيموت من دونك .. ابقي».

نظرت لي ببلاهة جعلتني أشعر أنها لم تفهم شيئًا ولا ما أعنيه أو ربما هي جيدة في ادعاء السذاجة.

لأول مرة من فترة طويلة أشعر بالخوف، ارتعبت من فكرة فقدانها، أنا لا أستطيع بدونها.

تأكل بشراهة.. تأكل وكأنها لم تبكِ منذ لحظات، وكأنها



تنتقم بالأكل.. كيف يكون جسدها بتلك المثالية وتأكل هذه الكميات.. ماذا تفعل تلك الفتاة؟

تضحك.

أشعر وكأني أب يتأمل ملامح طفلته، حركاتها الأولى، بكاءها، ابتسامتها.. أشعر بتلك اللهفة والفرحة وأشعر إذا تنفسَتْ فقط أشعر بالفخر بها، لا أعلم ماذا بها عن غيرها، ولكن أعلم ما لديها مميز عن غيرها.. وهو قلبي.

لن أدعها ترحل وإن صمتت لتاخذني معها، إلى أي مكان بالعالم.





إيلين

اشتقت لأمي، لرائحتها، حُضنها.. الغربة الحقيقة هي البُعد عن الأم..

يا لسخرية القدر فلقد هربت من مصر لأهرب من الحب، هل مقدَّر لي أن أهرب في أراضي الله الواسعة ليساع قلبي.

أخبرتني سام أنها وجدت لي عملًا كمتدربة عند أحد الأطباء النفسيين فالآن أو أبدًا.. أن أرحل الآن أو أبدًا، أن أبدأ في تحقيق ما رحلت من وطني من أجله وقررت ألا أكرر غلطات الماضي مجددًا وأن أختار نفسي.

أخبرته عن العمل الجديد، هاتفته وأخبرته لأني لم أكن لأقوى على أخذ ذلك القرار أمام عينيه.. أخبرته أني سأترك العمل ولن يستطيع أن يجعلني أغيِّر قراري.. تفاجأت بأنه صمت ولم يعترض بل تمنى لي التوفيق، شعرت بالغضب لن أنكر، توقعت جدالًا أكثر، توقعت منه أن يتمسك بي أكثر.

كنت في طريقي إلى المنزل بعدما تركت سام.. لأجد آدم



منتظرًا في الحديقة.. جالسًا أرضًا وعندما وصلت همَّ، وكان بجانبه الكثير من الأكياس.

نهض في نشاط وهو يقول: «ربما لستُ رب عملك ولكني آدم، فلدي الحق في أن أطبخ لكِ اليوم باستا، وأن نقضي اليوم سويًّا نتفرج على مسلسلك المُفضل».

أحببت الفكرة كثيرًا وكنت جائعة فلم أعترض، ولن أنكر أني أردت أن أقضي بعض الوقت معه فلن أكون معه من اليوم.

دخل آدم وبدأ في تحضير الأشياء التي سيحتاجها ليطهو، وأنا أتأمله.

بدا لي وكأنه يعلم تفاصيل منزلي جيدًا، لم يخطئ مكانًا.. كم هو دقيق الملاحظة، فهو لم يدخل مطبخي سوى مرتين فقط لصنع القهوة.. حاولت قطع حبل أفكاري وتأمل ملامحه الجادة..

كانت تدهشني أحيانًا قدرته على أن يكون شخصًا ودودًا للغاية وانطوائيًّا في الوقت ذاته.. وعيناه، كيف تتسم كل عين بنقيض الأخرى، واحدة في قمة القوة وأكاد أجزم الجبروت، والأخرى يوجد بها قلب أم ينبض حنانًا.. أشعر بالخوف أحيانًا من قسوته غير المُعلنة.. ولكن إيلين اعترفي إنه عندما ينظر إليك لا تجدين قسوة، تجدين حُبًّا غير معلن.. فقط حُبًّا..



وجدَ أني أتأمله بصمت، ربما شعر بما يدور بداخلي فقطع الصمت وهو يضحك ويخبرني عن الشيف الإيطالي الذي تعلَّم على يديه الباستا، كان يحكي بشغف فقاطعته بعدم وعي:

- إنت هتمشي؟

ليخبرني:

- وأسيب الأكل اللي هعمله، أنا جعان جدًّا.. أبدًا.

ثم نظر لي بتمعن وكأنه استوعب سؤالي:

- خليكِ انتِ وهتلاقيني دايمًا.

لم أفهم ما يعنيه، ولكني حاولت أن أقنع قلبي أنه يعني إن لم أرحل لن يرحل وحتى وإن كان كذلك.. كان عليه أن يخبرني أنه لن يرحل وإن رحلت لن يتركني أرحل.. كان يجب أن يشعرني بالأمان.

شعرت بالغضب وفجأة إذ به ينادي اسمي:

- إيلين..

- اييييه!

قلتها بنبرة غاضبة، تفاجأت من نبرة صوتي.. اعتذرت ولكنه اقترب وابتسم لي:

- لأ، إنتِ هتقوليلي كنتِ بتفكري في إيه وعصَّبك للدرجة دي.



أنـا أحبـك، أعشـقك.. أتمنـى لـو بإمـكاني أن أعيـش في مركـب بعينيـك، يؤلمنـي أني لسـت بـين ذراعيـك الآن.. أحبـك وأغـار عليـك.. أتمنـاك، هـل تعلـم مـا يعنـي هـذا!، أن تتمنـى شـخصًا، تتمنـاه وحـده، أنـك مسـتعد أن تتخـلى عـن كل شيء فقـط ليكـون معـك.. أنـا أحببتـك يا آدم ويحـرق قلبـي أني لا أعلـم بـماذا تفكـر أنـت.. تحـترق روحـي عندمـا أتخيلـك مـع أخـرى، أشـعر أنـك خائـن وأحلـل قتلـك بعقـلي وقلبـي ولكـن يقتلـك عقـلي ويداويـك قلبـي بنفـس اللحظـة، تمـرد قلبـي علـيَّ وأصبـح قلبـك، ولكـن في جسـدي.. هـل تعلـم مـا معنـى أن يكـون لـك قلـب يـدق لغيـرك، ينصـف غيـرك، يحِـب غيـرك.. لغيـرك وليـس لـك، هـل تعلـم معانـاة أن تعيـش في جسـم مِلـكًا لآخـر.. أنـا كل مـا بداخـلي لـك ولكـن روحـي سـاكنة لهـذا الجسـد.. فـلا أنـت لي ولا أنـا لنفسـي.. أنـا في المُنتصـف الميـت.. أتمـزق يـا آدم.

لم أشـعر بنفسـي إلا وأنـا بـين ذراعيـه وأبكـي كثيـرًا.. أبكـي كل شيء.. أنـا أحببتـه، أحببتـه كثيـرًا.. لا أعلـم كيـف أو متـى ولكنـي أحببتـه حقًـا.

- إيلين؟

- أنـا كويسـة بـس جعانـة، فطـول مـا أنـا جعانـة ببقـى متعصبـة بـس أنـا كويسـة .

لم أخبـره شيئًا، أخبرتـه بخيـالي.. أنـا أضعـف مـن أن أصرح بـكل هـذا والآن أبـدو أمامـه مثـل طفلـة مفجوعـة أيضًـا.. هـل يجـب أن أقتـل نفسـي الآن أم أنتظـر أن يرحـل؟



انتهى الطعام، كنت أظن أني سأحظى بوقت ممتع بينما نحن نطهو، ولكن في الواقع قد أفسد خيالي المريض لحظاتي التي من المفترض أن تكون مثالية.

ولكن الحق يقال إن الطعام عوضني عن ذلك، فهو حقًا طاهٍ جيد للغاية.

❊ ❊ ❊



آدم:

«منذ أربع سنوات»

- ليكسي، سأمر عليكِ الآن هل أنتِ مستعدة؟
- نعم.
- حسنًا.. أحبكِ.
- وأنا أحبك كثيرًا.. سأنزل لك الآن.

انتظرت ليكسي عند المنزل، كانت تبدو مثل الأميرات في ذلك الفستان.. هي تبدو مثل الملائكة دائمًا، ولكن اليوم كانت أكثر من ملاك.. لا أعلم لمَ دمعت عيناي وشعرت أني أريد أن أراها بفستان زفاف الآن.. خُلِقَت فساتين الزفاف فقط لـليكسي، لا أعلم هل أراها هكذا لأني أحبها أم يظن أي رجل مثلي.. لن أكذب جعلتني هذه الفكرة أغار عليها كثيرًا، هل يراها أحد جميلة مثلما أراها.. أنا لا أريد أن يراها أحد غيري.. تأكدت أني شرقي بالفطرة في هذه اللحظة..



انا أقف مكاني ولكني أكاد أجزم أن قلبي يفرش نفسه تحت قدميها في كل خطوة تخطوها.. إنه لا يريد لقدميها أن تمسا الأرض.

وصلت لعندي ولم أستطع سوى أن أضمها وأحملها.. كانت تضحك، ضحكتها كانت تُعيد شتات قلبي، كانت ترمم كل شرخ، كل ألم ووجع.. كانت ضحكتها دواءً وشفاءً لروحي.

- هل أخبركِ أحدهم من قبل أنكِ مثل الملائكة؟

- نعم، أنت.

- أنتِ ملاكي.

لتبتسم بحُب.. لم أتصور أن يحبني أحدهم مثلما تحبني، ولا أن أحب أنا أحدهم مثلما أحبها.. لطالما كنت زير نساء، الرجل الذي يحذِّر كل الآباء بناتهم منه، كنت مثل الشيطان ولكن بوجودها أصبحت قديسًا، وكأن وجودها يطهِّرني ويطهِّر قلبي وروحي من كل خطاياي.

أصبح خوفي الوحيد هو أن أفقدها، لن أستطيع أن أتنفس دونها.

- أنا أحبكِ.

- آدم وأنا أحبك كثيرًا.

- حسنًا، هيَّا.. عزيزتي أتمَّت عامها الخامس والعشرين ويجب أن نحتفل.



كانت تبدو متحمسة وكانت تعرف بالطبع أني حضرت لشيء كبير ولكنها بالطبع لن تتخيل ما خططت له اليوم.

وصلنا إلى المطعم، كان كل شيء مثاليًّا.. بالطبع ليس مثلها.

كُنت حجزت المطعم لها، وكان يوجد عازف كَمان، فهي تعشق الكمان.. نافورة شوكولاتة.. المكان مُزيَّن ويوجد بروجيكتور عليه العديد من الصور التي لها ذكريات خاصة بيننا.. تحدثنا عن كل صورة وعن ذكرياتنا، ضحكنا وبكينا حتى وصلنا لآخر صورة وكانت بيضاء.

- هذه الصورة بيضاء، لا أتذكر إن كان لها مناسبة خاصة.

- لا، ولكن سيكون لها.

- ..

- هذه ليست مجرد صورة بيضاء، هذه سيكون مكانها صورة رائعة.

وهممت ونزلت على ركبتي أمامها.. كانت تبكي وتضحك ولكنها لم تكن مثل أي فتاة أخرى مجرد ما أخبرتها: «هل تتزوجينني؟».. جلست بجانبي أرضًا ونامت وظلت تبكي وتضحك وتحضنني.. كنت أتصور أنها ستظل جالسة مكانها وتضع يدها فوق فمها وتقول: «نعم»، ولكنها فعلت كل شيء غير متوقع حتى إنها لم تقل نعم، ولكني أستطيع أن أتوقع أن رد فعلها معناه نعم.



لم أرها بهذه السعادة من قبل، سأكون زوجها وستكون زوجتي.

أنا سعيد، في قمة سعادتي.

«الآن»

هي ليست بخير، في الواقع هي لم تكن بخير أبدًا، ولكنها في أسوأ حالاتها الآن.. هي تحاول الحفاظ على كبرياء وجعها وأنا لا أريد أن أجعلها تشعر أنها ضعيفة وأني ألاحظ.. ربما هي تحب أحدهم وتتألم من فُراقه، ربما ولكني أتمنى لو أنها تكره الطعام فقط أو أن تكون تكرهني أنا شخصيًّا، ولكن ألا يكون بقلبها شخص.. فأنا أستطيع ولو كانت تكرهني أن أجعلها تهيم بي عشقًا، ولكن لن أستطيع أن أفعل أي شيء إذا كان بيني وبينها قلب، بيني وبينها شخص.. لا، لا أظن.. أتمنى.

- إيلين.

- الأكل حلو جدًّا.. بقالي فترة ماكلتش حاجة حلوة كدا.. شكرًا جدًّا.

سحقًا، إنها لم تكره الطعام، من اللحظات القليلة التي تمنيت فيها أن يكره أحدهم طعامي بدلًا من أن يكون واقعًا بعشق أحد آخر، في الواقع أنا لم أطهُ إلا لـ «ليكسي» و «ياسمين» وهي انضمت الآن إلى اثنتين من النساء اللواتي



جعلن حياتي جنة، ولكن منهما من دمرتها ومنهما مَن فعلت كل ما تستطيع لكي ترمم ما تبقى مني لبقايا إنسان.

رحلت من عند إيلين وشعرت أني بحاجة لياسمين.. أن أخبرها كل ما بداخلي.

- يا هلا، شو اتذكرت لسه إن عندك رفيقة؟

- هتدخّليني ولا هتقطميني.

- ولو، ادخل.. مالك!

- تعبان..

- تمام، اقعد بعملنا فنجانين قهوة ونسهر للصبح لنشوف مشاكلك، يلّا امشي أنا عايزة أنام.. فاضية لك أنا.

يضحك آدم دائمًا عندما تتحدث ياسمين بالمصري فلهجتها ليست جيدة ولكنها تصمم أن تحادثه بالمصري.

تسأله من المطبخ وهي تصنع القهوة:

- حبيتها؟

- كتير.. مش عارف إمتى وإزاي.

- هي تنحب، بس ياويلك أنا بقالي تلات سنين بصلح فيك فمثلًا تكسرك هي في تلات شهور أو أسابيع.. والله بهد العالم على دماغكم إنتم الاتنين.. أنا عندي حياة نفسي أعيشها.



يضحك آدم وهو يعلم أن ياسمين منذ أن تركها حبيبها وهي تدفن حزنها فيه وفي حياته ومشاكله، كم يتمنى لو أنها تستطيع أن تنساه وتستمر بحياتها.

جلست بجانب آدم وأخبرته:

- آدم، خليك صاحب منيح واسمعني.

- اتكلمي.

- أنا حاسة إني وحيدة جدًّا، لوحدي.. آه إنت معايا بس محتاجة راجل بحياتي.

- آه محتاجة حد يحضن ويبوس يعني، طيب وهو أنا قصرت إنتِ اطلبي بس.

لتضحك ياسمين وعيناها تدمعان وتضربه في كتفه.

- لا يا غبي، محتاجة حد أحبه ويحبني.

- اسمحي لحد يقرب.

- ما بقدر، كل ما حد يقرب بشوفه، مش قادرة أنساه، بشوفه في كل الناس والأماكن.. أنا كتير موجوعة يا آدم.

اقترب آدم وضمها له وظلت تبكي ويحاول تهدئتها ثم أخبرها:

- عايز أسألك حاجة مهمة؟

- قول..

- حضني مريح ولَّا أنزل أتمرن تاني وأبقى سيكسي وكدا.



- بكرهك يا آدم.

- لا بتحبيني، كدابة وبعدين نبقى friends with benefits

- خلاص بيكفي بقتلك هاا..

- ياسمين، إنتِ أجمل بنت أنا شُفتها، وتستاهلي كل حاجة حلوة.. فماتخافيش في الوقت المناسب هيجي اللي ينسيكِ كل حاجة.. واعتبري دا وعد مني أنا شخصيًا لأن أنا هطلع عين اللي هيزعلك تاني.. مش هيعيش على أرض ربك دي حد هيكسرك تاني.

ابتسمت ياسمين، فهي دائمًا تشعر بالأمان معه، تحبه كثيرًا وكأنه أخ لم تلده أمها.

شعر آدم أنها لم تكن بحالة تسمح أن يحكي لها عن حُبه فشاهد معها فيلمها المفضل وكانت قد نامت، وضع لها ملاحظة بجانب رأسها يخبرها أنها رائعة الجمال، وأنه يحقد على من ستقع بحبه لتقرأها عندما تستيقظ ورحل.

كان يشعر أنها أمه وصديقته وأخته التي لم تُولد أبدًا..

رحل وبقي بداخله بقايا كلام لم يُحكَ، بقايا مشاعر لم يعلن عنها، بقايا أمل والكثير الكثير من الحُب.

ولكنه قرر أنه سيخبرها كل شيء.. سيفعل.. غدًا.





إيلين

إنه اليوم الأول في تدريبي كدكتورة نفسية عند أحد أكبر الأطباء الذي يصادف أنه عربي، تعرفت إليه ولم يلاحظ أني عربية غير من كلمة «إن شاء الله» التي أقولها دائمًا.. فحدَّثني بلهجة لا أعلم إن كانت تونسية أم مغربية، ولكن قد عانيت لأفهم منه ما قال ففضلت أن نتحدث بالإنجليزية.

دقائق وكان آدم أمامي ومعه وردي المُفضل.. رغم أني رحلت، رغم أني لم أعد مساعدته.. رغم غضبه غير المعلن، ولكنه هنا.. أشعر أنه يستشيط غضبًا ولكن ليس مني هذه المرة.. من دكتور فايز.. دكتور في الثلاثين -ربما- من عمره، عيناه تميلان إلى اللون العسلي، كان وسيمًا للدرجة التي تجعل آدم لأول مرة يغار.

مدَّ آدم يديه ليسلم عليه وهو يقول:

- آدم.

ليرد عليه دكتور فايز:

- مسرور بلقائك، دكتور فايز.



ليبتسم آدم ويمسك بيدي، يمسك بيدي بقسوة ويقول: «يجب أن نتحدث» ويخبرني بنبرة غريبة: «لم أحبه ذلك الفايز أبدًا»

لأجيبه بتلقائية أغضبته كثيرًا: «بالعكس، أحببته كثيرًا».. ليقول باقتضاب: «حسنًا.. مُبارك العمل الجديد.. ولكن هل هو أفضل من العمل معي».. لأخبره بلامُبالاة مصطنعة: «أنا درست سنوات لأعمل كطبيبة وليس كمساعدة آدم»

ضحك لأنه يعلم أني لم أقصد الإهانة أبدًا، ولكني وددته أن يغضب، لمَ لا يغضب؟!

- يجب أن أعمل الآن.

- سأشتاق لكِ.

- أراك لاحقًا.

- مؤكد.

لا أعلم هل هو يتغير للأحسن فقط لشعوره أنه مهدد، إن غروره أكبر من أن يشعر أنه مهدد، إنه خائف الآن.. لطالما كنت أنا الخائفة من خسارتك وكنت أنت جبل صامت، حان وقت أن تدفع ثمن صمتك، حان وقت أن تخاف أنت.. جاء وقت أن تكون أنت إيلين الرقيقة، وأكون أنا آدم المتحجر.

جاء وقت أن أتجاهل مكالماتك، أن أخبرك أني مشغولة،



هـل يمكـن أن نتحـدث لاحقًـا.. حـان وقـت أن تشـعر بتلـك الغصـة بروحـك التـي طالما شـعرت بهـا.. أن تشـعر أنـك مُعلـق بـين السـماء والأرض.. بـين العشـق وشـعور مُبهـم لا اسـم لـه.. مُعلَّـق بـين الـشيء وعدمـه.

كان وقـت اسـتراحة الغـداء، وبعـد مقابلـة آدم كنـت أشـعر بالغضـب كلـما غضبـت ذهبـت للبحـر، لطالما شـعرت أني لا أنتمـي لـشيء ولا مـكان إلا البحـر.. لطالما شـعرت بالانتـماء لـه وكأني سـمكة ضلـت طريقهـا مـن البحـر لأرض البـشر فتحولـت زعانفهـا إلى قدمـين كعقـاب عـلى تركهـا للـماء، أشـعر معـه بالوجـود رغـم العـدم، بالحُريـة.. فيـا مـن قـادر عـلى جمـع كل تلـك الميـاه والمخلوقـات بداخلـه، الصغـيرة والكبـيرة في المـكان نفسـه، أرِح قلبـي وبـالي.

***

هاتفنـي دكتـور فايـز لأذهـب لـه وأجـده يدخلنـي في غرفـة مليئـة بـورق أصفـر ملـزق عـلى الحائـط.. سـألته عـن هـذا الـورق أخـبرني أنهـا غرفـة الاعترافـات.. يعـترف فيهـا كل شـخص بـشيء فعلـه أو يشـعر بـه ولا يسـتطيع البـوح بـه، لا يجـد الجـرأة ليفصـح عنـه.. لم أجـد نفسـي إلا أتقـدم لأول ورقـة وبفضـول واهتـمام بـدأت في قراءتهـم وكانـت أول ورقـة:

«أحببته وتزوج أختي».

توقفـت للحظـات وأنـا أحـاول اسـتيعاب أنهـا تحـب زوج



أختها الذي في الواقع حبيبها هي ولكنه تركها ودونًا عن كل نساء الكون اختار شقيقتها ليحرق قلبها بها، لم أتخيل أن يكون أحد بهذا السوء، ولم أستطع تخيل أن أختها تعلم أنه كان حبيبها، لم أستطع تقبُّل الفكرة أبدًا؛ ففضلت أن أتخيلها تجهل بحقيقة الأمر.

شعرت بنبضات قلبي تتسارع وأنا أتوجه للورقة الثانية:

«أنا من بلد مُحافظة ومُغتربة ولكني أقمت علاقة مع حبيبي وأصبحت حاملًا، أحمل جنينه في رحمي، ثمرة عشق ممنوع وتخلى عني فانتظرت حتى ولدت ابني ووضعته أمام بيت وتركته ورحلت».

شعرت بغصة في قلبي، لم أكن أعلم هل ألعنها أم ألعن ذلك الطفل البالغ الذي وعدها بالزواج وتخلى عنها.. وتذكرت مقولة «كل ذَكر يستطيع أن يكون أبًا، ولكن ليس كل أب يستطيع أن يكون رجلًا».

أكملت:

«ماتت ابنتي ومُتُّ معها ولكني أحاول الادعاء».

كنت أريد الهروب من تلك الغرفة، من هذا المكان.. كنت أريد أن أبكي ولكني تماسكت وأكملت.

«خطفتها واغتصبتها لأنني كنت أحبها كثيرًا ولم تحبني.. ثم تركتها»



شعرت أني لا أستطيع التنفس، كيف يمكن للإنسان أن يكون بتلك الوحشية والهمجية!

«أحببته وتركني».

هذه هي القصة المُعتادة عزيزتي، أن يحب أحدهم الآخر أكثر مما ينبغي، أن يُعطي دون أن يأخذ، أن يتغاضى عن عيوب لا يستطيع تحملها فقط ليسمع نبرة صوته التي يعشقها أو يتأمل عينيه بصمت.. الوجع هو القصة المعتادة للعشق صغيرتي.

بقيت أقرأ الاعترافات واحدًا تلو الآخر ودكتور فايز بجانبي يتأملني وكأنه يقول هذا الجزء السهل بعد.

تأملني بحذر وهو يقول إن الإنسان هو أكثر كائن شرير خلقه الله على الأرض، هو أسوأ شيء وأفضله لكل شخص جانب سيء وجانب حسن، قال إن البشر ما هم إلا شياطين بضمير لا نمتّ للملائكة بشيء ولذلك خلقنا الله، لو أراد أن يجعلنا ملائكة لما خلقنا؛ فلديه العديد منهم يسبّح بحمده ولكنه يريد ذلك الاختلاف، ذلك الشر الفطري الحيواني والنزعة الشيطانية.. كما قال الرسول: «كُلُّ بَنِي آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».. فالله يريدنا أن نخطئ ليغفر لنا.

بقيت أسمعه، ورغم اختلافي معه في بعض النقاط، ولكني أكاد أجزم لو أنني لم أكن فتاة قوية ذات قناعات ثابتة لأقنعني بكُل حرف قاله، قُدرته على الإقناع رائعة، أعترف أني كنت مبهورة بعلمه وثقافته.



انتهى يومي ورغبت أن أذهب للبيت وأدوِّن كل ما أتذكر من اعترافات وأحلل شخصياتهم، وأردت أن أقرأ أكثر.. أردت أن أنغمر في كل تلك الخطايا والذنوب التي نرتكبها، في كل تلك الندوب في قلوب أشخاص حولك من المرجَّح أن يكون أخوك أو أختك ولكن لا تشعر به وأنت تسمع صدى ضحكته العالية الرائعة التي اعتدتها.

كم هو من مريب أن تستيقظ يومًا وتكتشف أنك لا تعلم شيئًا عن شخصٍ كنت تظن أنك تعلم عنه كل شيء.. لا تدعي أنك تعرف أي شخص لأنك ستدهش من مقدار جهلك به.

وجدت آدم عند باب بيتي، فتحت الباب ليدخل، لم ينطق بحرف.. يبدو عليه اليأس أو الحزن، أو ربما هو ثمل مجددًا، يا الله، أرجو ألا يكون في ثمله مؤذيًا حقًا.. سألني الكثير عن يومي ولم أستطع أن أستشف من نظراته ونبرته إن كان اهتمامًا أو فضول رب عمل ولكنني أحببته بكُل الأحوال.

أخبرته عن تفاصيل يومي، وأردت أن أدخل اسم دكتور فايز في كل شيء ليس لإثارة غيرته ولكن لأكتشف إن كان لديه غريزة الغيرة مثلنا أصلًا.. كان يبدو عليه الحزن، ولم أستطع أن أمنع نفسي من أن أسأله:

- مالك؟

- وحشتيني، اليوم مش بيعدّي من غيرك.



أمسك بيدي وقبَّل كفي وهو يقول:

- إيلين..

لم أكن بحالة تسمح لي أن أرد حتى عليه، كنت بصراع داخلي هل عليَّ أن أسحب يدي منه وأضربه بأول شيء تصل إليه يدي أم أصمت؟ أصمت وأغمض عيني وأنجرف معه وكأني بقلب العاصفة، عاصفة أعلم أن نهايتها ستكون موتي وأنا على قيد الحياة، موت ما تبقى مني.

جلس أمامي يدخن وأنا أتأمله، لطالما كرهت المدخنين، ولطالما رغبت أن أتزوج برجلٍ غير مدخن حتى يكون قدوة لابني ولكني وقعت بعشق رجلٍ يفعل كل ما هو سيء، كل ما هو حرام ولكني أحببته على كل حال، أحببته على الرغم مما هو عليه.. أحببته كثيرًا، أحببت حتى رائحة دخانه لمجرد أنه مرَّ منه وكأني أتنفس نفس هوائه.

أتأمله وبداخلي يبكي، لمَ الحُب بتلك الصعوبة؟ لماذا عليَّ أن أخبئ اشتياقي وحُبي بداخلي، لمَ عليَّ أن أمنع نفسي من أن أضمه لصدري أو أن أرتمي بين ضلوعه وأبكي عشقه، لمَ كل شيء عليه أن يكون بذلك التعقيد والتكتيك، سألته بدون وعي:

- لو بتحب حد هتقوله؟

صمت وهو يتأملني ويحاول الوصول بنا إلى بَرٍّ هادئ، أو ربما كان يدرس كل الإجابات المُحتملة لسؤال مثل ذلك من أنثى مثلي ويحاول إيجاد أفضل رد.



- اللي بيحب مش بيحتاج يقول، بيبان عليه.. ولو ماحستيش منه بحُب يبقى مش بيحبك.. الحُب تصرفات مش كلام.

- طيب واللي كُل دقيقة بحال؟

ابتسم وصمت، علمت أنه سيجيب عني بصمتٍ، لن يعطيني ردًا.. سينظر بعينيّ وسيصمت.. لطالما كرهت الإجابات الصامتة، ولكني معه اعتدت على الكثير من الأشياء التي أكرهها، اعتدت على التجاهل والغياب والصمت، الكثير من الصمت الذي يأكل روحي ولكني اعتدته معه.

❊ ❊ ❊



آدم

أشعر أني وحيد.. وحيد للغاية.. أنا أخاف أن أبقى معي وحدي.. أنا تأثيري سيء عَليّ، أنا أؤذيني.. أنا خائف، لستُ بخير.. أعلم أني أحبها، هي وحدها تجعلني أشعر بالأمان، بالسلام.. وكأني جسم مُعتم يستمد نوره من طهارتها.. أنا منطفئ دونها.

ولكن أنا خائف أن تكون معي أيضًا، عندما أرى ذلك البريق بعينيها أخاف أن أكون سبب انطفائه، لن أستطيع تحمُّل ذلك الذنب أبدًا.

كانت كل يوم تنظر لي بأملٍ وبريقٍ في بداية اليوم وينطفئ بعينيها البريق كل مساء من الخذلان، ولكن الغريب أن ذلك البريق كان يتجدد كل يوم وكأن بداخلها بحرَ أملٍ لا يجف، كان بداخلي شيء يخبرني أني أحتاج أن أجعل ذلك البريق دائمًا، ولكني كنت أعلم أني سأخذلها، فهذا ما أفعله دائمًا.



إيلين

جلست في المقهى المُعتاد.. كنت أشرب فنجان قهوتي البارد، أتأمل الكرسي الفارغ الذي بجانبي، تخيلت خيبتي تجلس بجانبي وتسخر مني وهي تضع رجلًا على رجل، تحتسي معي فنجان قهوة وتدردش معي عن كُل خطأ ارتكبته منذ أن أخذت قلم إحدى زميلاتي بالفصل وكسرته لها.. حتى آدم.. خيبتي الكبيرة الرائعة.. هذا الرجل يدمر ثقتي بأنوثتي، ثقتي بذكائي، ثقتي بالبشر.. جعلني مُعقَّدة أعتقد، كيف يمكن لشخص أن يكون مريبًا وغامضًا لهذا الحد ويوجد بنفس الوقت في عينيه ذلك الحنان المُريب الذي يجعلني أذوب.. أنا أفقد عقلي حقًا.. أغمضت عيني للحظات حتى أتأكد أن كل هذا ليس حقيقيًّا.. أنا وحيدة هنا، أحتسي قهوتي وأفكر فيما هو ليس معي، ما ذلك الحاجز الذي بيننا؟ هل يُحبني أم أنني أتوهم؟

ما هي إلا دقائق حتى وجدته يدخل من الباب، جلس مكان خيبتي، وكأنها علامة القدر أنه سيكون خيبتي الكبيرة.

بهدوء قال آدم:

- القهـوة مـا هـي إلا مُصطلـح مُنمَّـق لتجـرُّع الخيبـة مـع مـرارة البُـن.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك، قد تلفت أعصابي.. كان يتأملني بهدوء وكأنـه يعـرف أنـه يجلس مـكان خيبتـي أو يجـد سـببًا مُقنعًـا لضحكـي غـير المبرر.. كان يتأملنـي بتفاهـم واقـترب وضـم رأسي لصـدره وهـو يقـول: «لا بـأس»، وتحـول كل ضحكـي المريـب إلى بـكاءٍ بـل نحيـب.. بكيـت كـما لم أبـكِ مـن قبـل.. لم أهتـم بالعـالم مـن حولنـا ولم يهتـم هـو سـوى بـأن يجعلنـي أهـدأ وهـو يهمـس: «صغـيرتي، كل شيء سـيكون عـلى مـا يـرام، أعـدك».

أنـا خائفـة، هـل يعلـم أني أرتعـش مـن خـوفي وعشـقي.. أنـا أتـألم ألمًـا جعلنـي أشـعر أني لم أتـألم مـن قبـل، وكأني لم أعاهـد مثـل ذلـك الشـعور أبـدًا.

هـدأت، ولم أنطـق بكلمـة تـبرر بكائـي ولم يسـألني هـو، كأن كل ذلـك لم يحـدث.. بقـي يتأملنـا المُحيطـون بنـا بتعجـب، وكأنهـم كانـوا ينتظـرون سـببًا أو مـبررًا لبـكاء تلـك الفتـاة بـين ذراع ذلـك الرجـل، ولكنهـم لم يجـدوا سـوى اثنـين يشربـان قهوتهـما بصمـتٍ كأن لم يحـدث شيء منـذ لحظـات، كانـوا ينظـرون لنـا مـن وقـتٍ لآخـر بانتظـار رؤيـة عتـاب أو لـوم، ولكنهـم وجـدوا حديثًـا عاديًـا لا يعـبِّر عـن انهيـار أو وجـع أو فُـراق..

لم أكـن أبـدًا تلـك الأنثـى التـي تبكـي وتنهـار بسـبب الحُـب،



ولكن ربما ما عاهدته من قبل ليس حُبًّا، أو ربما فقط لأنها أول مرة أشعر أنني مُعلَّقة، بين السماء والأرض، أنني في المُنتصف.. فأنا امرأة لا تُحب منتصف الأشياء؛ إما الكمال أو الزوال.. أو ربما لأني أحبه كثيرًا ولا أريد أن أفقده.. أو ربما كل تلك الأشياء، فأنا لست هشة لأنهار لواحد من تلك الأسباب فقط، أو ربما أنا هكذا.. لا أعلم، أنا أصبحت لا أعلم أي شيء سوى أنني أحبه وأنني أتألم.

***



آدم

«منذ أربع سنوات»

- بابا، أنا بحبها وهتجوزها.

- حبها يا ابني ماحدِّش له حُكم على قلبه، لكن تتجوزها لا مش هسمحلك.

- ليه!

- لأني شايف نفسي فيك، هتغلط نفس غلطتي.. مش هتعرف تكمل معاها لأنها غيرك في كل حاجة.. إنت دلوقتي السكينة سرقاك وقلبك واكلك لكن أول ما تبقى في بيتك كل دا هيختفي ومش هيكون موجود غير الاختلاف في الثقافات والدين والعادات.. عايز تبقى أم ولادك على غير دينهم يا بني.. حِبها بقلبك بس لما تتجوز فكر بعقلك.

- أنا مش بستأذنك، أنا هتجوزها.

كان أبي من أشهر رجال الأعمال في الشرق الأوسط ولكنه عندما كان في رحلة عمل للندن وقع بعشق أمي، أحبا

بعضهما كثيرًا وتزوجا سريعًا، ولكن كان أبي شرقيًّا بطبعه ولم يتحمل كل تلك الاختلافات وانفصلا وبقيت أنا مع أمي رغم محاولاته المُستميتة لضمي لحضانته.. كنت أعرف أنه أب جيد ولكنه كان قاسيًا، وكأنه يراني أمثل أحلَك أخطائه، كأني خطأ يجب أن يُصلحه بأن يجعلني نسخة منه لا منها.. ولكنه لم يقتنع أبدًا أني مزيج منهما، لن أصبح مثله ولا مثلها، أنا مثلي أنا فقط.

ذهبت إلى أمي من بعده، والتي رحبت كثيرًا وباركت خبر زواجي فهي تحب ليكسي كثيرًا.

ضربت بكلامه عرض الحائط وبدأنا لتحضيرات يوم العُرس.

***



إيلين

مر يومان على حادثة الكافيه، يوم نحيبي.. لم يحاول أن يعلم ما بي، أظن أنه يستطيع أن يتوقع.. لا أعلم ولكني أريده دائمًا، أن أسمع صوته، أن أنظر لعينيه وكأني أستطيع أن أفك طلاسم الغموض بداخلهما، أن ألمسه وكأني اكتشفت حدود جسدي عندما مرَّ بيديه عليها.. أنا أحبه كثيرًا وهذا يؤلمني، وكأن ذلك الحب أكبر من أن يحتويه قلبي الصغير فيتألم، وكأنه على وشَك الانفجار.. أنا أشتاقه، أشتاقه كثيرًا.

ليقطع صمتي دكتور فايز:

- إيلين، سرحانة في ايه؟

- أنا ماعنديش صُحاب، عندي اتنين أو تلاتة بس كل واحد مشغول في حياته، ممكن تبقى صاحبي وتفضل معايا ماتمشيش.

ليعطيني قهوة كان قد أحضرها لي.

- إحكي.

- أنا بحب، حسّة بحاجات غريبة ومريبة ومخيفة،



وفي نفس الوقت حلوة جدًّا، حسّة إني مستعدة أعمل أي حاجة عشان أكون معاه، أتحدى الكون كله، أشوف بس علامة واحدة منه، بحبه وأول مرة أحب حد بالطريقة دي وخايفة، حسّة إني لأول مرة مُمكن أقف في صف حد غير صفي، أنصف حد غيري.. أختار حد ما أخترش نفسي.. بحس إنه بيحبني بس مش عارفة هو لطيف وبس ولّا بيقضّي وقت ولّا في حاجة مانعاه يقول.. مشتاق ونظرة اللهفة اللي بشوفها في عيونه حقيقة ولا هيملّ ويختفي مع الوقت.. محتارة، وبالرغم من دا كله عايزاه يفضل موجود.. حسّة إني هسمحله يكسر قلبي وألمله اللي باقي منه وأحطه بين إيديه من تاني، لو حَضنّي وطعنّي بسكينة ووقعت منه هنزل أجيبهاله بس أفضل في حُضنه.. غباء، عمري ما كنت غبية بس حابة أكون غبية عشانه ومعاه.. فايز أنا بحبه بجد وخايفة لأني مستعدة أوجع نفسي بكل الطرق الممكنة عشانه وهو حتى مش قادر يعترف لو بجد أو ينكر لو وهم.. سايبني في النُص وبموت، لا مني طايلة لا سما ولا أرض.

- أنا هقولك حاجة واحدة لأن أي كلام هقوله سواء في صفه أو ضده إنتِ واصلة لمرحلة إنك ممكن تغلّطي نفسك عشان تبقي معاه، فانتِ جواكِ بوصلة، كل ست جواها بوصلة بقلبها، بتدلها دايمًا على الطريق الصح، بس إنتوا دايمًا بتتجاهلوها بعدين تقولوا «كنت حسّة وعارفة».. إيلين، ماتتجاهليهاش.



تركني ورحل، وترك بداخلي مئات الأسئلة، هل لدي بوصلة حقًا؟.. هل أعرف الطريق الصحيح وأتعمد تجاهله، هل حقًا أنا أعرف؟

ما هي إلا دقائق حتى وجدته أمامي، ينظر لي وهو مرهق، يبتسم فيضحك عالمي كُله.. لم ينطق بحرف.. ضمَّني.. دخل ضلوعي وكأنه يدخل بيته بعد يومٍ مُرهقٍ.. شعرت وكأن ضلوعي قد شُكِّلت رغم صغرها لتحتويه رغم ضخامته.. أعتقد أني كنت أضمه بكبر ما بداخلي من حُب له وليس بصغر حجم جسدي.. بقينا هكذا وقتًا لا أعلم إن كان طويلًا، أو قليلًا.. لم أشعر بالعالم الخارجي، وكأني اكتشفت مجرة جديدة بداخله، غلافها الجوي هو رائحته، صوتها هو دقات قلبه التي أشعر بها تدق بكل جسدي.. همس لي بصوت أذاب روحي بين ذراعيه:

- إيلين، أنا بحبك.

صمتُّ، لم أستوعب أبدًا ما قاله، يُحبني!.. حقًا.. لا أعلم كيف بدوت من الخارج ولكن بداخلي كنت أشعر بكل شيء ونقيضه ولكني حتمًا كنت في قمة سعادتي وخوفي بنفس الوقت..

بالطبع المستشفى لم يكن المكان المُناسب ليعترف أول مرة بحبه، ولكنه كان التوقيت المناسب.. توقيت كنت فيه على وشك اليأس من حُبٍّ ميئوس منه، حب من طرف واحد،



توقيت رائع كعادتك عزيزي.. وكأنك مثل فريق الأهلي دائمًا ما يُحرز الأهداف في اللحظات الحاسمة الأخيرة.

أخذني وخرجنا لنجلس فوق قمة سطح عالٍ، نتأمل كيف كل شيء صغير، ضئيل أمام هذا الحُب الذي بداخلنا، أضع رأسي على كتفه، أتأمل كل شيء وكأني أراه للمرة الأولى، يبدو كل شيء مختلفًا عندما تميل رأسك على كتف من تُحب.

كانت نبرة صوته حنونة وكأنها تجردت من كل العوائق التي لا أعرفها، ربما سيخبرني كل شيء بالوقت المُناسب، أراه يتألم، عليّ أن أصبر معه، سأصبر يا آدم.. سأجعل الصبر يستغرب من صبري، سأخلق معنى جديدًا له.. لن أتخلى عنك وعن كل تلك العوائق التي فوق قلبك.. أبدًا، أعدك.. أبدًا.

- إيلين.

- ...

- أنا حبيتك من أول مرة شُفتك فيها، عُمري ما كنت بآمن بالحُب من أول نظرة لحد ما لقيتك داخلة، حسيت كأن الكون وقف كُله للحظات وانتِ بس بتتحركي، إنتِ بس اللي ريحتك مَلِت الجو، إنتِ بس اللي نظرتك للكتاب كأنه ابنك مثلًا من الحُب اللي بصيتِ له بيه، لحد ما قعدتي قريب مني كإن القدر بيساعدني.. ماقدرتش غير إني أبتسم لكل الأفكار دي وابتسمتِ، حسيت إن كل حاجة اتكسرت فيَّا بتتصلح، كإني جرح بيلمّ.. خليكِ معايا.



ثم تنهد وهو يغمض عينيه ويقول بألم: «اصبري شوية».

يقبِّل رأسي ونستمتع بلسعة البرد التي تخترق مشاعرنا، ولكن لا نبالي بها لما بنا من احتراق في مشاعرنا.

مسكت ذراعه بقوة وكل ما بداخلي يريد أن يتأكد أنه معي، أني معه.. يُحبني وأحبه.. أحبه كثيرًا.

أشعر بالسعادة، لا حزن ولا ألم فقط سعادة، وبالطبع مع السعادة يأتي الخوف كرفيقٍ غير مرغوبٍ به، مثلما يأتي الإدمان مع السجائر أو صداع ما بعد الثمالة أو غُربة ما بعد التحرر من قيود الحدود والبلاد أو كما يأتي احتمال الغرق مع البحر.. يأتي الخوف من انتهاء تلك السعادة، الخوف من اختفاء كُل ما انتظرناه عُمرًا.. خوفًا من الإخفاق وإفساد كل شيء.. الخوف من أن يضيع كُل شيء عبثًا.. الخوف وحسب.

***



آدم

«الآن»

لا أستطيع أن أبتعد عنها، حاولت ولكني فشلت.. أعلم أنها ربما ستتركني يومًا ما، ولكني سأفعل المستحيل حتى أجعله أبعد يوم قدر المستطاع.

أنا لم أشعر أني بخير منذ سنوات حتى رأيتها تبتسم، شعرت كأن الكون بخير، وأني لدي ما يكفي من أُكسجين في هذا العالم البائس، لم أشعر بغصة في قلبي إلا عندما شعرت أني سأفقدها.. لم أجد نفسي إلا بين ضلوعها أخبرها أني أحبها، أطلب منها أن تبقى رغم علمي بأنها لن تستطيع تفهم ما حدث قبلها، ولن تقبله.. رغم علمي أنها ستتألم.. نعم أنا بهذه الأنانية معها، لن أتركها أبدًا.

ذهبت لياسمين كعادتي.

- وحشتيني.

- منيح إنك متذكرني والله، بدخلك بس لإني اشتقت لقهوتك.



- استغلالية بس أحلى فنجان قهوة وصاية.

- قول..

- حفظتيني والله.

- بعرفك سنين، مش بتتذكرني إلا لو عامل مصيبة أو على أعتاب مصيبة، إحكي.

- هتجوزها، بحبها.

- متأكد؟

- إنتِ أكتر واحدة كنتِ دايمًا تشجعيني أكمل حياتي وأتجوز حتى أخلف يا ياسمين.

- حقيقي، بس تكون البنت عارفة كل شيء مش تكون مخبي عنها يا آدم.

- هقولها.

- إمتى، وانت متزوج منها ومعكم ولاد بتحكيلها؟، بتكون دبستها رسمي يعني.. آدم ما فيك تكون أناني إذا بتحبها.

- لو سابتني هموت.

- يمكن ما تتركك، أصلًا كله ماضي.

- ماضي بس مكمِّل وهيكمل يا ياسمين، إنتِ عارفة موقفي من زمان.

- غلط، غلط..



كُنت أعلم أن ياسمين محقة، ولكني كنت أرفض أن أعترف حتى لنفسي بذلك، لا أستطيع أن أخبرها ولا أستطيع أن أتركها ولا أستطيع تغيير الماضي ولا الحاضر.. أبدًا.

أنا عالق في حياتي ولا أستطيع الهروب.

❋ ❋ ❋

«منذ أربع سنوات»

اليوم هو يوم زفافي، أنا وليكسي.. بعد أعوام من عشق، عشق يزيد يوميًّا ولا يقل أبدًا.. لطالما أخبروني أن العشق يكون في البدايات فقط، لهفة الانتظار، الحُضن الأول، القُبلة الأولى.. لكن معها كل مرة هي المرة الأولى، معها كل شيء يصبح أفضل مع الوقت وكأنها زجاجة تيكيلا فاخرة كُلما قدمت كلما أصبحت أفضل، هي حقًّا تيكيلا.. فمعنى تيكيلا هو شروق الشمس وهي شروق حياتي، هي بداية كل شيء، هي دخلت حياتي بهدوء وروعة الشروق الذي ينير كل ما هو كاحل الظلام، أزالت كل خوف بداخلي، خطت على قلبي بأقدام محترفة، تعرف طريقها وكأنها تمرنت على شرايين قلبي طوال حياتها.. جعلتني أرى كل شيء بوضوح.. لطالما أسرَتْني فلسفتها في الحياة، هي التي جعلتني أقرأ، علمتني الفن والموسيقى.. جعلتني أعشق فان جوخ

أتذكر أول يوم لنا وحدنا في منزلنا، تعرت بالكامل..



تعـرت وتجولـت بالبيـت دون محاولـة منهـا أن تثـير غرائـزي الحيوانيـة.. فقـط تجولـت وكأنهـا حـواء، كأنهـا لم تتعـرف بعـد علـى شـجر التـوت، لم تثِـر شـهواتي مثلـما أثـارت إعجـابي، كأنهـا لوحـة فنيـة يجب أن تتأملهـا، تتأمـل كل ندوبهـا، ألوانهـا، خطوطهـا ومنحنياتهـا.. كان يجب أن تقـف مبهـورًا أمـام تلـك المعجـزة الكونيـة.. أتذكـر أول مـرة مارسـنا فيهـا الحُـب، كنـت كالعبـد الـذي يحـاول إرضـاء ربـه، كنـت أصلـي فـروضي وأبكـي خشـوعًا عنـد سـماع آيـة توصـف عظمـة الخالـق، كالعبـد الـذي يحـاول أن يدخـل الجنـة دون عقـاب، لم أكـن أول عبـد يحـاول إرضـاءهـا ولكنـي كنـت حتـمًا أول رب تؤمـن بـه.. كانـت تؤمـن بـالله ولكنهـا لم تؤمـن بديـن، مـا لم يعرفـه أبي أنهـا لم يكـن لهـا ديـن، كانـت تؤمـن أن كل الأديـان السـماوية مـن عنـد الله ولا يجـب أن نختـار واحـدًا دون الآخـر.. وكأنهـا كانـت تعتنـق كل الأديـان، تؤمـن بموسـى وعيسـى ومُحمَّـد.. تؤمـن بمعجزاتهـم، تعـرف خبايـا كل ديانـة ومُعتقداتهـا وتختـار مـا يقتنـع بـه قلبهـا وكأنهـا اعتنقـت ديانـة أخـرى خليطًـا منهـم.. لم تكـن جسـدًا تمـارس معـه الجنـس، لم يكـن التحـام أجسـاد بـل أرواح.. كانـت كسـماع أغنيتـك المُفضلـة مـرارًا وتكـرارًا ولا تمـل أبـدًا.

كانـت قـادرة عـلى جعـل كل شيء معهـا مُميـزًا كـشروق الشـمس بالرغـم مـن أنهـا تـشرق صبـاح كل يـوم.

رأيتهـا بالفسـتان الأبيـض، لم أسـتطع أن أملـك نفسي، لم أجـد إلا دموعـي تنهمـر.. كانـت تبـدو كالمـلاك الـذي يـزور الأرض

للمرة الأولى، هي ملاكي.. زوجتي، حبيبتي، عشيقتي.

- آدم، أنت تبكي.

- أريد خمس بنات يشبهنك تمامًا، سيشكرني كوكب الأرض على هذا يومًا ما.

تضحك بشدة، أعشقها حين تضحك، أشعر وكأن عالمي كله يضحك.

***



إيلين

كُنت سعيدة جدًّا رغم علمي أن هذه السعادة لن تدوم طويلًا؛ فمثلما قال فايز، إن بوصلتي تخبرني أن هذه السعادة مؤقتة.. إن وجوده ربما مؤقت ولكني أنوي الاستمتاع بكل لحظة وكأنها لحظاتي الأخيرة.

رنَّ هاتفي وكان هو، كان حبيبي آدم..

- وحشتيني.

- كنت بفكر فيك.

- أنا من يوم ما عرفتك مش بفكر غير فيكِ.

كانت كلماته بسيطة ومن المُمكن أن تكون مبتذلة، ولكن كان لها وقع السحر على قلبي وكأنني بنت مراهقة في الثالثة عشر من عمرها ويغازلها ابن الجيران.

سهرنا سويًّا نحكي حتى نمنا، ولم نغلق الخط أبدًا ..كان رغم كلامه يبدو أنه يخفي شيئًا.. لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير فيما يخبئ ولمَ يخبئه.. أهو بهذا السوء، أم أنه فقط لا يحب أن يتذكر، حتى استيقظ هو وأغلق الخط ثم اتصل مرات عديدة حتى استيقظت، كانت المرة الأولى التي أفيق



فيها على صوته.. كان صوته النائم هو ثاني أفضل شيء بعد وجوده.

شعرت أني مراهقة تعيش حُبَّها الأول، شعرت وكأني لم أكبر أبدًا.. أحقًا الحب يجعلنا نشعر بأننا أطفال مع من نحبهم، نغضب ونتألم من أقل تصرف ثم نتراضى ونسامح بابتسامة فقط.. أحقًا يجعلنا الحُب سُذجًا لهذا الحد؟

كان قد مر شهور على وجودي بلندن، شهور من الألم والسعادة والغُربة، شهور على معرفتي بآدم وحُبنا وصداقتي مع سام وعمر وفايز.. كان قد مر وقتٌ لا بأس به لأعلم أني أشتاق لبلدي حقًا، أشتاق للإسكندرية ولأمي وللبحر وأصدقائي، أشتاق لكُل شيء رغم أني أهاتف أمي دائمًا وأصدقائي، وبالرغم من وجودهم الافتراضي معي دائمًا، أشعر بالاغتراب فقررت أن أستغل عطلتي وأذهب إلى مصر.. البلد التي لا مفر منها إلاها، مهما ظننت أنك تريد أن تسافر، بمجرد أن تخرج خارج حدودها ستحوم حولها حتى تعود وتدب قدمك ترابها من جديد.

كان قد تبقى فقط أن أخبر آدم أني قررت السفر.

- آدم، أنا قررت أسافر مصر.. أمي وحشتني.

- هتسيبيني؟

شعرت بخوفه الشديد وكأنه مهدد أني سأنساه مُجرد أن أذهب لبلد أخرى.



- هُمَّا أسبوعين، هشوف أمي وأصحابي، ومصر وحشتني.

- أكيد، معاكِ حق.. طيب حبيبتي، هساعدك تحضَّري حاجتك وورقك.

تفرحني تصرفاته الرجولية الصغيرة التي تزلزل أنوثتي.. لطالما اعتمدت على نفسي في كل شيء، لم يكن أحد معي ليساعدني، وعندما كبرت كنت قد اعتدت ذلك؛ فلم أكن لأسمح لأحد أن يساعدني ولكنه لطالما أثبت وجوده ودعمه الدائم لي.

- عمري ما ميّلت ولا سندت على حد، بس إنت الوحيد اللي بحس إني لو سندت عليه مش هقع.. إنك مش حيطة مايلة هتميل بيَّا، بالعكس لما بميل عليك بيتعدل المايل.

- أنا دايمًا جنبك، سواء كنت صح أو غلط.. دايمًا في ضهرك وعمري ما هتخلى عنك.

كانت تلك كلماتنا الأخيرة في المطار وأنا أحتسي قهوتي الفرنسية وأتعجب من حالي وأنا قادمة إلى هذا المطار قبل شهور، كيف كنت وكيف أصبحت.. كان ينظر لي وكأنه يحاول أن يشبع من النظر لوجهي، عندما أعلنوا عن وصول طائرتي ضمَّني بقوة وحملني فوق كتفه وهو يصرخ بالإنجليزية: «لن أتركك ترحلين» ليقف جميع المسافرين يبتسمون وآخرون يصورونا، وآخرون يشجعونه على فعلته، وأنا أصرخ وأضحك حتى أقنعته أن ينزلني ويقول بابتسامة



خبيثة: «حتى لا يظن أحد الرُكاب أني أنثى عزباء ويحاول التقرب لي، ليعلموا أن معك رجل يستطيع أن يمحي من الوجود من يفكر أن يمسّك».

شعرت بالأمان، بالرغم أنه لن يكون معي ولكن الأمان الحقيقي هو الذي تشعر به بداخلك دائمًا على الرغم من الغياب والحدود والبلاد.

حضنته بقوة وهمست له: أحبك.

وتحركت لطائرتي، عائدة إلى بلدٍ لم تحبني يومًا ولكنني أحببتها كثيرًا.

عائدة إلى ما هربت منه كثيرًا، ولكني لست وحدي هذه المرة، هو بقلبي.. هو معي.

❋ ❋ ❋



آدم

«منذ أربع سنوات»

حياتي مع ليكسي كانت مثالية.. كنا سعداء، نادرًا ما تشاجرنا، كنا متفاهمين جدًّا، كنا واقعين في الحُب، وزاد حبنا حين علمت أنها حامل، حامل مني، ستكون أمًّا لطفلي.. سيكون أسعد طفل في العالم وكأن سعادتنا لم ينقصها سوى مزيج من الجنة ومن جهنم، من الملاك والشيطان، منها ومني.. أعتقد أن إله السماء ينتظر تلك اللحظة منذ بداية الخلق، أن يرى اندماج ملاكٍ من ملائكته مع شيطان من شياطين الإنس.. لطالما قرأت «الطيبون للطيبات».. ولم أفهم كيف تزوجنا أبدًا، ربما أنا جيد من داخلي حقًا وأستحق أن تكون ليكسي معي.

أتذكر يوم أن قالت لي ليكسي أنها حامل، كانت قد عزمت أبي وأمي وأهلها للبيت.. أرادت أن تُفاجئنا جميعًا.. عزمتنا على العشاء، وجلسنا جميعًا على الطاولة وأمام كل واحدٍ طبق وفوقه طبق آخر يُغطيه.. استغربت ولكنني لم أبالِ



كثيرًا.. فـ «ليكسي» لطالما فاجأتي بتصرفاتها.. وعندما بدأنا نستعد لنأكل، كل واحد فتح طبقه ليجد أمامه قطعة ملابس صغيرة، حذاء صغيرًا للغاية، شرابًا، طاقية.. كُلهم استوعبوا ما يحدث ماعدا أنا، وجدت بطبقي صورة إيكو ومعه تحليل حمل.. لم أكن أستوعب أبدًا ونظرت حولي ببلاهة، لأجدهم كلهم حتى أبي في منتهى سعادتهم حتى اقتربَتْ مني ونظرت لي بنظرة أراها لأول مرة وهي تقول:

- سيكون عندنا طفل بعد ستة شهور فقط.

لا زلت صامتًا، أحاول الاستيعاب، لا أعلم كيف كانوا في المسلسلات يصرخون «يعني هبقى أب» بتلك السرعة، أنا لا زلت أحاول استيعاب ماذا يعني أن يكون هناك طفل مني، ابني أنا.. ابني.

لا أعلم ولكني فقط بكيت، كانت تحتضنني بطريقة مختلفة هذه المرة، كأنها أمي فعلًا، أمي أنا وهو..

لا أتذكر أني بحياتي كنت بهذه السعادة من قبل، هي معي وسيكون لدينا طفل.. أنا أكثر الرجال حظًا بهذا الكون البائس.

وقد مروا شهور وكان يكبر «جوزيف» جنينًا في رحم ليكسي هكذا قررنا تسميته، فكنت أريده أن يكون اسمًا عربيًّا وغربيًّا في الوقت ذاته، أن يكون يوسف وجوزيف.

وكان كلما حان موعد ولادته، كلما كبر عشقنا وسعادتنا.. أو هكذا ظننت أنا.



إيلين

وصلت لمطار برج العرب، مثلما رحلت ولم أخبر أحدًا، وصلت ولم أخبر أحدًا.. أحاول أن أصلح ما أفسدته برحيلي.. سأفاجئ الجميع.

طلبت «أوبر» ليفاجئني القدر مجددًا، كان الكابتن هو شخص أحبني كثيرًا.. أحبني وظننت أني أحببته.

- لما شُفت الاسم ماكنتش مصدق، قُلت أكيد تشابه أسماء بس نسيت إن حتى إسمك مفيش منه.

- زين، عامل إيه.

- أنا عامل كويس.

ابتسمت له وكان يعلم أني عندما أبتسم فإني لا أرغب بالحديث أبدًا، ما زال يتذكر، يتذكر كل شيء.. ما هي إلا دقائق ووجدته يشغل أغنيتي المُفضلة.. ابتسمت رغمًا عني مع عبد الوهاب وزين وهو يقول معه «إمتى الزمان يسمح يا جميل».. تنهد زين وقال «إمتى» بصوت أقرب للهمس.

- أنا آسفة.





- على إيه؟

- على كل حاجة.

- قصدك إنك ماحبتنيش يعني، وإني كان عندي استعداد أموت لو دا كان هيرضيكِ وإني لحد دلوقتي بشوف ولادي منك في أي طفل، وإن كل واحدة تحاول تقربلي بناديها بإسمك.. لا ولا يهمك.. عادي.

لأول مرة أشعر حقًا بأن كلام زين لم يكن مبالغة، فأنا شعرت بذلك الألم مع آدم.. أنا أحببت آدم مثلما أحبَّني زين.. هل سيؤلمني آدم مثلما آلمت زين؟.. هل ستكون أنت يا آدم انتقام السماء مني.. هل ستكون أنت الدِّين الذي يجب على قلبي أن يسدده، أتمنى ألا تكون، كنت أتأمل الطريق والبحر وأفكر في القدر والماضي والمستقبل والحاضر وأنت.. أفكر فيك كثيرًا، اشتقت لك وأشعر بأني أخون زين الجالس أمامي يبكي حُبي وأنا واقعة بعشق رجلٍ آخر هنا في الخلف.

ما هي لحظات حتى وجدتك تهاتفني.. انتبه زين وكعادته صمت، محاولة منه أن يفهم كل شيء أو ربما خوفًا من أن يفهم كل شيء.. لا أعلم.

- آدم..

- وحشتيني..

- خلاص قربت على البيت..



يضحك آدم كلما حاول أن يتغزل بي وأكون بالمستشفى أو وسط زحام الخلق ولا أستطيع أن أرد عليه خجلًا.

- بحبك.

- قربت على البيت برضو خلاص أهو.

وبالطبع كان زين يعرف طريقتي في الرد على الغزل وأظنه فهم كل شيء، ولم أكن أريد أن أوجعه أكثر فأخبرت آدم أني سأهاتفه عندما أستطيع وأغلقت.

- بتحبيه؟

- ...

- صدقيني مبسوط، إنك على الأقل عرفتِ يعني إيه حُب.. لأن دا أحلى حاجة ممكن تحسيها مهما وجعك.

فضَّلت الصمت وتأمُّل البحر بهدوء ووصلت عند البيت، بالطبع لم يحتَج زين أن يسألني عن المنزل فهو يعرفه جيدًا.. تذكرت منذ عامين، في ديسمبر كنت أخبرته أنه يجب أن ننفصل.. جاء عند منزلي واتصل بي يبكي وكانت السماء تمطر بغزارة وكأنها تشاركه نحيبه وحزنه.. أخبرني أن أنزل وإلا سيطلع هو لمنزلي.. طلبت منه أن يهدأ وأن ينتظرني في البن البرازيلي، فهو مكاني المُفضل.

بالفعل ذهبت له، كان مُبللًا.. كان جالسًا يدخن وأمامه قهوته.. تأملته بصمت محاولة مني أن أستشف حالته النفسية لأعرف كيف يمكن أن أتعامل معه.. وكان يتأملني وكأنه



يتطلع بفراغ وكأنني لست أمامه.. بدأ يحكي وكأنه يتكلم مع نفسه وليس معي.

- إنتِ ماينفعش تمشي، مش هسمحلك.. إنتِ أكيد مش هتعملي كدا فيَّا.. أنا حبيتك، ليه حد يمشي ويسيب حد بيحبه للدرجة دي، ليه؟

نظر لي أخيرًا ولكنه كان في حالة لا تسمح لي أن أحاول أن أتناقش معه بعقل، كانت نبرته هادئة للغاية وكأنه مشغول بما بداخله على أن يركز في الحروف الخارجة من قلبه.

وقف، اقترب مني.. ركع على ركبته أمامي ومسك يدي ووضع رأسه فوقها وبكى.. ضممته، كنت كالأم التي تضم طفلًا وجدته تائهًا فقط لتهدّئه وتشعر تجاهه بأمومة ولكنها ليست أمه.. لم أكن أمه، لم أكن حتى حبيبته.. لا أعلم ماذا كنت ولكني أبدًا لم أشعر معه ما شعرته مع آدم.

كنت أريد أن أدفع ولكنه نظر لي نظرته المعتادة كلما هممت أن أدفع شيئًا وهو معي.. لا أنكر أني كنت أشعر بالخوف أحيانًا من تلك النظرة.

- شكرًا إنك وصلتني..

- طول عمري بوصَّلك للمكان اللي انتِ عايزاه، عمري ما توّهتك.

كُنت أعلم أن كل كلام زين معي سيكون يقصد به شيئًا آخر، ولكني كنت قررت أن أتركه يقول ما يريد، فأشعر به، لا أريده أن يتألم أو أن أكون أنا سبب وجعه.. ليس مجددًا.



كانت دقات قلبي تزداد كلما أقتربت للباب، أخرجت مفتاحي ودخلت.. كان المنزل هادئًا، لم يكن بيتنا هادئًا أبدًا.. كل شيء في مكانه كأني لم أغِب لشهور..

دخلت لغرفة أمي لم أجدها، شعرت بغصة في قلبي.. أين هي، شعور مرعب أن تدخل البيت ولا تجد أمك.. بقيت أبحث عنها مثل طفلة خمس سنوات خائفة حتى وجدتها نائمة في غرفتي.. جلست أرضًا وبكيت.. لا أعلم لمَ ولكني شعرت للحظات أني فقدتها على الرغم من أني هاتفتها قبل أن أسافر.

سمعت صوتي أعتقد، استيقظت فزعة لتجدني بجانبها وأبكي.

- بسم الله الرحمن الرحيم، إنتِ جيتِ إمتى وبتعيطي ليه.. مالك؟

- ماليش بس قلقت لما مالقتكيش في سريرك.

- ليه وانتِ فكراني هبلة بسيب ورقة على سريري وآخد حاجتي وأسافر.

ضحكتُ لأني كنت أعلم أنها ستذلني بهذا دائمًا وأبدًا.. حضنتها، شعرت أني أخيرًا ببيتي.. كانت تريد أن تحكي معي كثيرًا ولكني كنت مجهدة فنمت ونحن نتحدث.

استيقظت لأجدني في سريري.. ابتسمت وشعرت أني أريد أن أهاتف آدم.. أشتقت له.



خرجت من غُرفتي لأسمع صوت أمي تحادث أحدهم، ولكني لم أبالِ ظننت أنها تتحدث بالهاتف حتى خرجت وأنا لا أرتدي بنطالًا حتى، فقط «تي شيرت» وصُدِمت عندما وجدت آدم أمامي.. حتى إني نسيت أني لا أرتدي شيئًا لولا صوت أمي ونظراته المُريبة..

دخلت غرفتي مصدومة، وأحاول أن أذكِّر رئتي كيف تتم عمليه التنفس.. شهيق، زفير.. شهيق، زفير.. شهيق، زفير حتى هدأت قليلًا ولبست ثيابي وخرجت.

لأجد أمي تخبرني:

- دا آدم، جاي يتقدملك.





آدم

«منذ ثلاث سنوات»

كانت علاقتي أنا وليكسي غير مستقرة، كنت أعلم أن بعض النساء يصبهن الاكتئاب وقت الحمل وبعد الولادة.. ربما هي منهن، ربما هي خائفة، أو ربما يتعبها الحمل.. حاولت خلق لها كل الأعذار الممكنة وكنت على استعداد أن أتكيف مع الوضع حتى دون التفكير في عذرٍ.

شعرت أني أريد ياسمين، فقط ياسمين وذهبت لها كعادتي وكانت بجانبي كعادتها، لم تعاتبني على غيابي أبدًا بل فتحت لي ذراعيها شوقًا كأم تستقبل ابنها، لا عتابًا ولا لومًا.. فقط شوقًا.

- شكلك مش كويس، مالك؟

- لا أنا تمام.

- كداب.

- كداب جدًّا، بس مش عارف أقول إيه أو أحكي إيه، أو



المفروض أكون متضايق ولا لأ.. مش عارف ومش فاهم.. مش كويس بس مش عارف مالي.

- إنت وليكسي تمام؟

- بنبعد، كل يوم بنبعد عن بعض أكتر وكإن بيتبني بينا حدود وحواجز.. كل يوم بنسكت أكتر، بحاول ألاقيلها مبرر لكل حاجة بس من جوايا مش قادر أصدق إننا نوصل للمرحلة دي.

- آدم، الحب هو إنك تستحمل اللي بتحبه في أسوأ حالاته وأوقاته، تعمل كدا وانت عايز فعلًا تبقى جنبه مش مستني منه يشيلهالك جميل.. إنك بس محتاج تبقى جنبه وعارف إنه محتاجك حتى لو مش مبين دا.. إن حتى لو مفيش مبرر ولا سبب تخلقله سبب وعذر، الحب هو المراية المدشدشة، اللي لو الكل قالولك شوف، هُمَّا هيشوفوا حاجة وانت هتشوف حاجة تانية خالص.. وعارف إيه الوِحِش في الموضوع؟.. إنهم دايمًا في الآخر بيطلعوا صح وإحنا بنطلع أغبيا مش شايفين حاجة أصلًا.

صمتت ياسمين للحظات لتبتلع خيبتها، لتبتلع وجعها.. جلست بجانبها وشربت معها تيكيلا وأنا أفكر في شمسي، في وجعي.. أفكر كيف يمكن أن أمحي تلك المسافات والصمت وبجانبي ياسمين تفكر في رجل أحبَّته كثيرًا ولم يحبها ولو قليلًا.



وحانت اللحظة المنتظرة، حانت لحظة ولادة جوزيف.. كنت أنا وأبي وأمي وأهلها.

لم تكن ولادته سهلة أبدًا، تألمت ليكسي كثيرًا.. لم يكن يريد أن يخرج لهذا العالم البائس.. ومن يستطيع أن يلومه؟

ربما سمع كلامي عن العالم والحروب وسوريا وفلسطين والثورات والحُكام، ربما سمع عن الله والثواب والعقاب والجنة وجهنم وبئس المصير، ربما لم يعلم أيضًا هل سيكون مُخيرًا أو مُسيرًا.. وربما سمع نقاشاتي مع ليكسي عن أبي.. ربما شعر بالخوف من أن أكون مثل أبي يومًا.. ربما فقط شعر أنه تسرَّع وأنه ما كان يجب أن يكون أسرع حيوان منوي، ربما نادم هو الآن وفقط يريد أن يبقى بداخل ليكسي للأبد.

ضحكت من تخيلي السخيف، ولكني في الواقع كنت أضحك فخرًا بابني الذكي الذي رفض العالم قبل أن يرفضه، الذي سيصارع لبقائه في آخر مكان يمكن أن ينعم فيه بالسكينة للسبعين عامًا القادمين.. كنت أنا أفكر في كل ذلك بينما تمسك ليكسي يدي وتبكي وتصرخ من الألم.. حقًّا يجب أن تكون الجنة تحت أقدام الأمهات.. فأنا ماذا فعلت؟، لقحت بويضة.. هذا فقط؟.. أما ليكسي فتكوَّن جوزيف بداخلها، منها.. لم تستطع النوم أو الأكل أو حتى التنفس بشكل طبيعي في الشهور السابقة.. ولن تستطيع النوم أبدًا مجددًا.. لطالما سمعت أمي تقول إن آخر يوم نامت فيه جيدًا كان اليوم الذي يسبق علمها أنها حامل



بي.. فلم تستطع النوم جيدًا من يومها، إما أركل رحمها مللًا، أو أن أركل رحمها حتى أخرج لعالم لم أعلم أبدًا أنه بذلك السوء، لو علمت لِما تكبدت عناء الركل والمحاولة والانزلاق والبُكاء.. لما تكبدت عناء سباق الحيوانات المنوية من الأساس.. كنت جلست عند بداية الرحم أتأمل هؤلاء الحمقى وهم يتسارعون على من يريد أن يكون الأشقى وأنتظر الثلاثة أيام حول رحم أمي حتى أكون مجرد حيوان منوي ميت.. ما أسعدني، كنت سأعيش فقط ثلاثة أيام وما أحمقني أردت أن أعيش أبدية من التعاسة.

بكى..

أسمع صوت ابني يبكي.. أليست هذه رسالة؟، إنه بمجرد ولادة الإنسان يبكي، قرأت مرة إن الطفل يرى شريط حياته وهو في رحم أمه.. ألهذا نبكي؟.. أننا نعلم ما سنعانيه وفقط مَن حولنا حمقى لا يفهمون ونحن مع الوقت نصبح حمقى مثلهم وننسى، ولكننا أبدًا لا ننسى ما نُعانيه صباح كل يوم.. ربما لهذا يوجد الـ «ديجافو».. ربما هي لقطات من ذلك الشريط الذي رأيناه.. ما هذا العبث، هل ذلك حقيقي من الأساس.. إن كنت أنا الرب ما الذي سيجبرني أن أجعل عبدي يرى حياته؟ أين المتعة في أن تدخل فيلمًا وأنت تعلم نهايته.. ربما المتعة في التفاصيل، في الشعور، في الألم، ربما المتعة هي في رؤيته لنا ونحن نظن أننا نحن من نختار الطريق،



ولكن في الواقع هو خلق فينا ما يجعلنا نختار الطريق الذي مختاره هو لنا.. أحيانًا أفكر أنه من يوم ولادتي ومكتوب لي أني سأنجب ولد اسمه جوزيف، يعني اسم ابني أنا مجبر على اختياره بمنتهى إرادتي الحُرة.. أحاول ألا أفكر في الغيبيات كثيرًا لأنها تسلب قدرتي على عبادته، تجعلني أشعر أني فقط مُجرد عروسة متحركة وهو معه الخيوط يحركني من مكان لمكان وأنا بسذاجتي أظن أني أنا من لديه حرية القرار.. أريد أن أموت وأقابل الرب لأسأله عن كل تلك الأشياء، هل سيظهر لنا يومًا؟.. هل سيتكرم علينا بطلّته الإلهية وسيشرح لنا كل شيء لم نستطع فهمه وكنا حتى نخاف أن نسأله حتى لا نكفر.. هل سيظن أننا نستحق أخيرًا إجابات منطقية يستوعبها عقلنا البشري المحدود بعد أن آمنا به رغم عدم قدرتنا على رؤيته.

فكرت في كل ذلك بينما تحمم الممرضة جوزيف، وليكسي معها الدكتور يطمئن على صحتها وأنا أعلم أني الآن أب.. لن أكون أبدًا مثل أبي.. أنا بالرغم من كل شيء أحبه لأنه رغم أنه لم يعلِّمني أي شيء، فقط علَّمني كيف لا أكون أبًا سيئًا.. مثله.

أخذت ليكسي طفلنا وكانت ترضعه بينما أتأملهما، أتأمل عائلتي الصغيرة.. كانت أسعد لحظات حياتي عندما سمعت صوته يبكي للمرة الأولى.. شعرت أني اكتشفت جزءًا في قلبي لم أكتشفه إلا بسماع صوته.. شعرت لحظتها أني سامحت



أبي على كل شيء.. سامحته لأنه يومًا ما شعر تجاهي بكل هذا الحب وربما لهذه اللحظة.

أخذت ليكسي يدي وقالت لي: «المسه».. شعرت بدقات قلبي تتصارع، لا أستطيع أن ألمسه، هل يحق لي أن ألمسه.. هل حقًا هو ليس جنينًا بل جسدًا معي الآن وأستطيع أن ألمسه؟!

شعرت بالخوف كثيرًا وكعادة ليكسي، كانت قادرة على جعل أصعب اللحظات سهلة.. مسكت يدي ووضعتها فوق شعره.. لا أعلم ماذا شعرت ولكني فقط بكيت.. ابني، أنا ألمس ابني.. اقتربت منه وهمست له: «أنا سأحبك دائمًا، مهما فعلت.. أنت ابني، دائمًا»

اقترب أبي وقال: لازم نأذّن في ودنه، الولد مسلم.

حمل أبي «جوزيف» وكان جوزيف يبكي حتى اقترب أبي عند أذنه اليُمنى قال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر»

هدأ جوزيف ونظر بسكينة واستغراب.. ثم أكمل أبي لأذنه اليسرى وهو يقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر».. ثم قال «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»..

وقفنا جميعًا نتأمله، ونتأمل هدوء جوزيف بعد بكائه.. ابتسمت ليكسي، لم تغضب ولكنها اندهشت لسكون جوزيف.. فهي مؤمنة بمُحمَّد ودينه، وجدتها رددت مع أبي «وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله».. لم أفهم هل اعتنقت الإسلام أم فقط أراحت روحها الجملة..



فأنـا أبـدًا لم أحـاول أن أتناقـش مـع ليكـسي في اعتناقهـا ديـن ولكنـي شـعرت أنهـا اعتنقـت الإسـلام.. ذهبـت وقبّلـت رأسـها وأخـذت جوزيـف ونظـرت لـه وهـي تقـول: «جوزيـف، أنـا أحبـك كثـيرًا».

مـرت شـهور عـلى ولادة جوزيـف، شـهور لم نسـتطع فيهـا النوم جيدًا، كنـا نتناوب عـلى تغيير الحفاضـات ونومـه، فطفـلي العزيـز يحـب أن يسـتيقظ ليـلًا.. فـما أسـعده، لديـه أب وأم يتناوبـان ليـلًا ليرعيـاه.. ومـا أشـقانا.

شـهور ونحـاول أن نتأقلـم أنـه أصبـح لدينـا طفـل الآن، فـلا نسـتطيع السـهر أو السـفر وقتـما شئنا، فربـما يمـرض أو يجـوع أو يبكـي.. آآآه يبكـي ومـا أدراك مـا بُكاء جوزيـف..

جوزيـف، كان يشـبه ليكـسي كثـيرًا وهـذا كان سـببًا آخـر لأحبـه فـوق حبـي لـه.

توتـرت علاقتـي بليكـسي بعـد ولادة جوزيـف أكثر فقـررت أن آخذهـما للعشـاء في مطعـم ليكـسي المفضـل.. كنـت أشـعر أنهـا تريـد أن تخبرني شـيئًا فقـررت أن أهيـئ لهـا الجـو لذلـك.

كنـت أنـا وهـي وجوزيـف في السـيارة، وكانـت أغنيـة ليكـسي المفضلة

Don't try to make me stay

Or ask if I am okay

Cause I don't have the answer



ودمعت عيناها، لم أعلم ما بها ولكنني كنت أعلم أنها ستخبرني، حتمًا ستخبرني.. وإن لم تفعل لن أحاول أن أضغط عليها.. فقط أريدها أن تكون بخير.. ولا يؤلمني أكثر من رؤيتها وهي تعاني، تعاني صمتًا وخوفًا.. هي خائفة لا أعلم من ماذا ولكني فجأة خرجت مني حروف تليق بما كان بداخلي:

- ليكسي، أنا بجانبك دائمًا.

ابتسمت لي وهي تنظر لي وكأنها تعلم أني سأكون هنا، بجانبها دائمًا.

مسكت يدي ونامت على كتفي وكانت تلك أكثر لحظة طبيعية بيننا منذ شهور.

و كان اليوم يسير على ما يرام حتى قررت ليكسي الاعتراف.

❋ ❋ ❋



إيلين

آدم بمنزلي، في مصر.. أمامي جالس مع أمي.. يريد أن يتزوجني

- يلَّا نقرا الفاتحة وهي موافقة.

ضحكت وأخبرته:

- لا، كدا كروتة.. إدّينا كدا عشر أيام وهنرد عليك واللي في الخير ربنا يقدمه.

نهض من مكانه واقترب مني وهو يقول في صوت حازم:

- ولا حتى عشر ثواني.. يلَّا إقري الفاتحة بدل ما أقراها على روحك.

- آخر كلام، تهديد ما بتتهددش.. تحب نقراها دلوقتي ولَّا تستريح شوية بدل ما انت واقف كدا؟

ضحك وضحكت وضحكت أمي.. ضحكنا حُبًا وفرحًا.. كنت سعيدة للغاية وكانت أمي سعيدة برؤيتي سعيدة..

استأذنها آدم أن يخطفني اليوم فأذنت له بمنتهى البساطة.



- تحبي تروحي لفين؟

- أي مكان مادام معاك.

ابتسم بحُب وقال: أنا عارف هوديكِ فين.

أخذتنا عربة إلى أمام إحدى عماراتي المفضلة المطلة على البحر، لم أفهم شيئًا ونزلنا، تحدث آدم مع أمن العمارة وأعطاه مفتاحًا.. وأعطاني الآخر.. ما زلت لم أفهم شيئًا ووصلنا للطابق الخامس، وبعدما فتح آدم الباب.. دخل آدم، وبقيت أنا واقفة، لا أعلم هل يجب أن أدخل أم ماذا.. في لندن كنا نشرب قهوتنا دائمًا سويًا، وحدنا في منزلي، ولكن هنا ليس لندن.. شعرت أننا ربما نتطبع بالمكان، ما كنت أقبله هناك لا أستطيع أن أتقبَّله هنا.. ولكنه نفسه آدم، لم يتغير.. ربما لذلك نحن ازدواجيون.. لأننا لا نؤمن بما نفعله، نفعله لأنه يجب أن نفعله فقط.. ليست إرادتنا الحُرَّة بل مجبرون لذلك نستطيع أن نقبل أشياء في مكان ولا نستطيع تقبلها في آخر.. قطع تفكيري صوته وهو يقول: «إيلين؟»

قررت ألا أكون ازدواجية أبدًا مُجددًا.. فسأكون نفسي تحت أي سماء وعلى أي أرض.. دخلت وأغلقت الباب لألتفت وأجد شقة دوبليكس..

كانت جاهزة.. كل شيء فيها مثلما أحبه تمامًا.. كانت تبدو مثل الجنة بصورة مُصغَّرة..

بعدم استيعاب سألته:



- آدم، إيه دي؟

- دا بيتنا اللي هنقعد فيه لما هنيجي إسكندرية.

بقيت أتأمل كل مكان في البيت وهو يكمل كلامه:

- لما سألت سام كانت قالتلي إن دا المكان اللي كان نِفسك تسكني فيه هنا، وخليها تتكلم مع الناس وتظبط كل حاجة وأنا اللي اخترت كل حاجة فيه على ذوقك.

لم يكمل حتى أخذته بين ضلوعي.. صمت آدم ولكني شعرت بدقات قلبه تتسارع وأنا أهمس له: «أنا بحبك».

لم يأسرني كل ذلك بقدر ما أسرني اهتمامه بأن يكون مكاني المُفضل ولوحاتي المُفضلة، اللون الأزرق والأبيض.. أسرني اهتمامه بكل شيء.

أخبرته بغير وعي:

- نفسي أفضل في حضنك عمري كله

- هتفضلي، مافيش مخلوق هيدخل حضني غيرك.

- لا كداب، إبننا.. أنا عايزة ولد شبهك رغم إن طول عمري نفسي في بنت.

شعرت بدقات قلبه تتصارع، شعرت أنه ليس بخير.. ابتعدت قليلًا وسألته: «إنت كويس؟»

نظر لي وهو يحاول أن يتمالك نفسه ويقول:



- لـو فضلنـا هنـا لوحدنـا أكـتر مـن كـدا، إنـتِ الـلي مـش هتبقــي كويســة.

ابتعدت عنه وضربته وهو يضحك.. وبقيت أهرتـل بكلام وشـتائم غـير مفهومـة خجـلًا وهـو يضحـك حتـى أخـبرني أن أسـتعد لأنـه يوجـد مفاجـأة أخـرى.. أخـذت حقيبتـي وذهبـت تجـاه البـاب.. حتـى اقـترب منـي، اقـترب مثـل ذلـك اليـوم في المكتــب.

همست: ديجافو..

ضحـك.. وهـو يقـترب أكثر ويقـول: سترين هـذا الديجافـو كثـيرًا.

حاولـت الهـروب منـه ولكنـك أبـدًا لا تسـتطيعين الهـروب من بـين ذراعيـه، لِمَ الهـروب؟، لِمَـن؟، لمـاذا؟.. فـلا مفـر منـه إلا إليـه.. لا مهـرب مـن ذراعيـه إلا لشـفتيه.





آدم

«منذ ثلاث سنوات»

- أنا خُنتك.

كانت تخرج الكلمات منها بانسيابية وكإنها تمرنت عليها مئات المرات قبل اليوم، لا يبدو أنه ذنب جديد، يبدو أنها تتعايش معه منذ فترة.. لم تطلب السماح، لم تبكِ.. قالتها بمنتهى الثبات وكأنها تسألني عن ماذا أرغب أن أتناول على العشاء.. هزمتني قوتها، لم أجد بداخلي قوة على الصراخ أو الصدمة.. فقط صمتٌ للحظات حاولت أن أجد صوتي، ولكنه تاه بداخلي، تاه بداخل العديد من الأسئلة..

لماذا؟

متى؟

أين؟

مع مَن؟

لماذا؟



لماذا؟

لماذا؟

كان لدي العديد من «لماذا» بداخلي.. كنت لا أعلم لماذا، لا أستطيع أن أجد لكِ مبررًا، لا أستطيع أن أغفر.. ربما إن كان هناك سبب لخيانتك لاستطعت أن أغفر، ولكن لماذا؟.. أنا كنت هنا دائمًا، معك دائمًا، لا أتذكر أني تخليت عنك أبدًا.. لماذا؟، لماذا!

لم أجد الكلام الكافي ليعبِّر عما بداخلي من وجع، خانتني.. تركتها وذهبت للحمَّام، أغلقت الباب ولم أشعر بنفسي إلا وأنا جالس على الأرض تنهمر دموعي وأحدِّث نفسي بصوت عالٍ:

- خانتني، لماذا، لن تجد أبدًا مَن يحبها مثلي.. أنا أحببتها وهي أحبتني.. نحن لدينا ولد، جوزيف.. كيف تخونني.. إنها تمزح، تريد أن ترى رد فعلي ربما.. أكيد هكذا فقط.

ذهبت لها ولجوزيف وأنا مقتنع أنها فقط تريد أن ترى رد فعلي، ربما تريد أن ترى إن كنت مثل أبي عصبيًّا أم لا.. كانت قد طلبت الحساب حتى رجعت.. دفعته وأخذت جوزيف واتجهت للسيارة.. دخلنا وهممنا بالرحيل وتحركنا للبيت وكان يسود الصمت والهدوء الصاخب الموجع.. والخيبة والكثير من فتات قلبي..

ولكنها تحدثت مجددًا:



- آدم، يجب أن ننفصل.

ثم لا أعلم ماذا حدث حتى استيقظت.

- هل أنت بخير؟

- أين أنا؟

- أنت في المستشفى، تعرضت لحادث وتحطمت سيارتك، أخبِرني هل أنت بخير، بماذا تشعر؟

- جوزيف.. جوزيف وليكسي، أين ليكسي؟

- ...!

* * *



إيلين

حددنا موعد الفرح، حضَّرنا كل شيء.. كنت سعيدة للغاية، ولكن اليوم كان سيسافر آدم للندن.. لديه عمل وسيحضر ياسمين وسام وعُمر معه أثناء عودته.

ذهبت معه للمطار وقبل أن يدخل قبَّل رأسي:

- هتوحشيني

- تعالى بسرعة.

- هآجي بسرعة، هآجي دايمًا.

ابتسمت وكنت اتفقت أن أقابل أصدقائي لنستمتع سويًّا وطبعًا لم تخلُ جلستنا من التلميحات عن وسامة آدم وأنه الفارس على الحصان الأبيض ثم قالت لمى:

- يا خوفي منه.

لم أجد نفسي إلا أدافع عنه:

- ليه كدا والله آدم شخصية جميلة جدًا.

- آه بس الحلو ما بيكملش، شوفي بقى مداري إيه ولَّا وراه إيه.. مافيش حد كويس وخلاص، لازم خازوق.



تذكرت غموضه وأني دائمًا أشعر أن هناك شيئًا خفيًّا لا أعلمه.

أحقًّا «الحلو مابيكملش»، أحقًّا لا يوجد شيء واحد في هذا الكوكب البائس جيد من بدايته لنهايته؟.. أيمكن أن تكون هي محقة، أن يكون دائمًا السم في العسل.. لماذا لا يستطيع عقلنا البشري افتراض أنه يوجد شيء كامل في هذا العالم.. لماذا لا يستطيع عقلنا تقبُّل النهايات السعيدة ودائمًا يفترض أنها مجرد خرافة أو أنها ربما ليست النهاية بعد وأن لا بُد أن تكون النهاية مأساوية، أذلك من كُثر قبح الواقع أم أنه قُبحنا نحن، لا أعلم ولكن لو تعلم يا آدم كم تمنيت أن تكون أنت نهايتي السعيدة، أن تكون بداية المطاف ونهايته، أن تكون الطريق والرحلة وأن تكون الوصول، كم تمنيت أن نوصل لبر الأمان يا آدم، كمن بقي يعوم طويلًا ويتمنى أن يصل للشط قبل أن يغرق تعبًا.

سيطرت عليَّ كل تلك الأفكار البائسة وشعرت أني أريد أن أكون في فراشي الآن، أبكي أو ربما حتى أجلس صامتة.. ولكنني لم أكن أشعر أني أقوى على البقاء معهم.. فقط أريد البقاء وحدي.





آدم

وصلت إلى لندن وذهبت إلى ياسمين

- حضري حاجتك هتسافري معايا مصر.

- تحب أغسلك رجلك بملح كمان، مجنون إنت.. ليه لأروح على مصر أنا؟

- عشان أنا وإيلين هنتجوز وهنعمل فرحنا هناك.

- إنت بتمزح صح؟

- لا.

- حكيت لها كل شيء؟

- لا.

- آدم، إنت كتير بتغلط.. ما صح تكذب عليها إنك...

- ياسمين، أنا عملت الصح كتير، من حقي أغلط مرة، من حقي أمشي في طريق عارف إن نهايته سعادتي مهما كان صعب.. أنا تعبت في حياتي كتير، مريت بحاجات ماكنتش أتخيل إني أمرّ بيها.. أنا بحبها وهي بتحبني ودا أهم حاجة.



- الحب وحده مش كفاية، هي مش هتسامحك لو بتعرف إنك بتكذب عليها.

- الحُب بيقدر يخلي الإنسان يغفر أي حاجة عشان يكون مع اللي بيحبه، هتسامحني.. ولو مش وقت ما تعرف، بعدها هتسامحني بس أنا مش هقدر أقولها ولا هقدر أسيبها، حضَّري حاجتك لحد ما أجي.. عندي مشوار لازم أعمله.

***

«في إحدي أفضل المصحات النفسية بلندن»

ذهب آدم للقاء ليكسي، زوجته.

- ليكسي.. أنا عارف إنك سمعاني، عارف لأن بقالك سنين سمعاني بس مش عارف هتردي إمتى، إمتى هتفوقي.. أنا جاي النهارده أقولك إني هتجوز.. إسمها إيلين، بحبها وهي بتحبني.. حبيتها بعد ما كنت فاكر إني مش هحب غيرك وإن حياتي انتهت.. حبيتها بعد ما اتكسر قلبي منك ورغم كل دا ما قِدرتش أتخلي عنك.. فرحي أنا وهي بعد بُكرة.. جاي أقولك إني ماقُلتلهاش حاجة، مش قادر أقولها ولا قادر أطلقك، مش قادر أقولها إن مراتي اللي كنت بعشقها خانتني وإني عملت حادثة وابني مات.. مات في حضني، مش قادر أقولها حتى إني ساعات كنت بشكّ إنه ابني أو يمكن كنت عايز أشك عشان أخفف الوجع اللي حاسس بيه بعد فقدانه.. أنا مقسوم نصين، نُص مات



مع جوزيف ومات بعد خيانتك ليه.. ونُص عاش بعد ما شافها، نُص عرف معنى الضحك لما هي ضحكِت.. نُص قلبه دقّ من تاني.. أنا مش جاي ألومك لأني عارف إنك مش هتردي، بس جاي أقولك لأن جوايا شيء حاسس إنه من حقك تعرفي.

وعندما همَّ بالرحيل، وبعد ثلاث سنوات لأول مرة يسمع صوت بُكائها، نحيبها.. كانت في حالة انهيار.. تبكي كما لم تبكِ من قبل.. وكأنها تبكي كل حرف لم تتحدثه منذ موت ابنها.. تبكي فقد طفلها وحبيبها.. تبكي.

وقف كأنه تمثال، لم يستطع التحرك، لا للأمام ولا لها، وقف في المُنتصف.. ف المنتصف المميت بين ماضٍ يقتله وبين مستقبل غامض ربما سيقتله يومًا ما.. وقف وكأنه يحتاج استراحة محارب قد فقدَ وطنه وأهله في حرب ليست حربه.. فقدَ كل ما يملك.

اقتربت منه، منذ أعوام لأول مرة تلمسه ليكسي.. تقترب منه أكثر وتحضنه، تدخل لضلوعه بعدما خرجت منها بإرادتها.. ربما كانت أحيانًا تشعر أنها السبب في موت ابنها وأحيانًا كان يشعر هو بالذنب.. لم يبعدها ولم يقترب.. وقف كما كان معها دائمًا في المنتصف المميت..

ليكسي، ورائحة ليكسي، ولمستها السحرية ولكن الفرق الوحيد أنه الآن بقلبه الكثير من إيلين..



قبَّلته، وكأنها قُبلة الوداع.. لطالما ذاق ضحكتها في قُبلاتها، لأول مرة يذوق دموعها.. كانت مالحة، مُرة مثل ما في قلبهما من مرارة الخيانة والموت والفراق والألم.. لم يقبِّلها، لأول مرة لا يقبِّل آدم ليكسي.. بل شعر أنه يخون إيلين.. ابتعد عنها في حنان، حنان لم تستطع خيانتها محوه أبدًا، حب أكبر من الخطيئة، أكبر من الفراق والألم والخيبة والخذلان.. أكبر منهما ولكن ما زال لا يكفي لبقائهما سويًا.

ابتعد عنها، قبَّل رأسها وهو يقول:

- أنا بحب إيلين.

لتنطق لأول مرة منذ سنوات، لأول مرة منذ موت ابنها:

- وأنا بحبك ووعد هفضل أحبك لآخر نفس ليًا.

ثم تركته ورجعت لسريرها الذي لم تفارقه لأعوام، نظر لها كمن يودِّع بيته القديم، يودعه ولكنه يحمل بداخله كل تلك الذكريات ولكن في نفس الوقت مليء بالحماس لمنزله الجديد، لحياته الجديدة.. كانت ليكسي بمثابة البيت القديم الذي لن يعود له ولكنه سيبقى ذلك البيت القديم دائمًا وأبدًا.

لم يستطع آدم تحمل ذنبه بأنه سبب موت جوزيف، لم يستطع أن يتخلى عن ليكسي وأن يطلقها.. على الرغم من كل شيء.. لم يستطع أبدًا وكأنه مثل أب يغفر هفوات ابنته.. ولن يستطيع أن يتركها وحدها أبدًا.



وصل آدم لعند ياسمين وكان قد هاتف سام وعُمر..

وعندما وصل لياسمين:

- رُحت لها؟

- عرفتِ منين؟

- أنا ماحدِّش في العالم كله عارفك زيي.

- اتكلمت، قالتلي أنا بحبك.

- اتهزيت؟

- أبدًا، بالعكس اتأكدت إني بحب إيلين أكتر.. ماكنتش قادر أسمع كلمة بحبك من حد غيرها، ماكنتش قادر حد يلمسني غيرها.. ياسمين أنا ممكن فعلًا أموت لو سابتني.

حضنته ياسمين وتنهدت.. كانت تحبه كثيرًا، كانت تشعر أنها أمه، كان كل شيء لها في هذا العالم القبيح.. كان هو الشيء الوحيد الجيد الذي حدثَ لها منذ أن... منذ الأبد ربما.

بكى آدم في حضنها كثيرًا، تعلم أنه يحتاج أن يبكي في حُضن أحدهم، أحد يعلم كل شيء، أحد لن يتركه أبدًا، وكانت هي ذلك الشخص الذي لن يتركه أبدًا.. فهي رأته في أسوأ حالاته، أصدقهم وأحسنهم.. كانت معه دائمًا.. منذ أن كان طفلًا وضرب ذلك الولد الذي حاول أخذ دراجتها عنوة وهما أصدقاء.. منذ لقاؤهما الأول وهو سند لها، حماية وكأنه درع أمان لها من كل مَن يريد أن يؤذيها..



كانـت علاقتهـما أقـوي مـن أن يقعـا في عشـق بعضهـما، كانـت أطهـر مـن ذلـك بكثـير.

جلسـا أرضًـا، جلس يبكي بيـن ضلوعها كطفل فقـد لعبتـه، يبكـي دون وعـي، يبكـي وهـي تهمس لـه أن كل شيء سيكون على ما يُرام.. يبكي وهـو يهلـوس بـكلام غير مفهـوم، ولكنهـا لم تحـاول أبـدًا فهمـه، فهـي دائـمًا تشعر بـه وهـو مـا يحتاجـه أكثر مـن أن يفهمـه أحـد، أن يشـعر بـه أحـد، بذلـك الألم الـذي يعتـصر روحـه، بتلك الضحكـة المزيفـة.. كانـت هـي فقـط مـن تسـتطيع أن تـرى مـا تحـت جلـده مـن ألمٍ ووجـع، كانـت تـراه مُهشـمًا ومفتتًـا.. لطالما تعاملـت معـه بحـذرِ أمٍّ تتعامـل مـع طفلها الوليـد، تمسك رأسـه بحنـان.. نظـر لها بحـب ثـم نـام عـلى كتفهـا مجـددًا صامتًـا وهـو يقـول:

– أنـا عمـري مـا حسـيت مع حـد بالهدوء اللي بحسـه معـاكِ، بحـس إني أقـدر آجـي أسـند عليـكِ في أي وقـت وهلاقيـكِ في ضهـري، معايـا وفاهمـاني.. ياسـمين إنـتِ أحـلى حاجـة حصلتـلي مـن سـنين.. مـن وأنـا عيـل، مـن وأنـا بـين أم وأب كل واحـد بيحـارب التـاني بيـا كنـتِ انـتِ السـلام، كنـتِ الملجـأ مـن وطـن مُرهـق بيسـتنزفني، كنـتِ ملجـأ حنـيّن، حنـيّن دايـمًا مهـما عملـت.. أنـا بحبـك.

دمعت ياسمين وهي تضمه لها أكثر وهي تقول:



- إنـت مـش بـس صديقـي واخـي، إنـت إبنـي.. أنـا بحبـك أكـتر.. يـلّا، فيـه عـروس مسـتنياك.. عـروس حلـوة وبتحبـك، وبعدهـا بنشـوف طريقـة لنحـل كل شيء.. مـا عليـك، بنحلهـا والله.

***



إيلين

زفافي غدًا، سأكون زوجة لرجلٍ أحبه، أحبه كثيرًا.. رجل كأنه مُفصَّل.. رجل هو كل ما تمنيته بحياتي.. ذهبت للكافيه المفضل لي أشرب قهوة وكأني أودعه لأننا اتفقنا أننا سنسافر لباريس بعد الفرح لقضاء شهر العسل ثم نعود للندن مجددًا.

ما هي إلا دقائق حتى وجدت زين.. يجلس معي ومعه قهوته وهو يقول بضحك مصطنع:

- العروسة هربت ولَّا إيه؟

لأضحك وحاولت ألا أرد حتى لا أجعله يتألم، فكان يبدو متألمًا بما يكفي، وشعرت أني إذا نطقت حرفًا واحدًا سينهار.

- مبروك.

- الله يبارك فيك يا رب، عقبالك.

- هتعزميني طيب ولا أجي أغنيلك اغذريني يوم زفافك ماقدرتش أفرح زيهم.

- لا وعلى إيه، إنت صاحب فرح أصلًا مش محتاج عزومة.

صمتنا للحظات نحاول فيها الخروج من ذلك الحوار الذي سينتهي بدموع زين الصامتة.

كنت أنتظر وصول آدم.. كانت قد وصلت طائرته ومعه ياسمين وسام وعُمر.

كنت متوترة من لقائهما، لا أعلم.. آدم لم يسألني أبدًا عن حياتي السابقة وكأنه لا يهتم أو كأنه لا يريدني أن أسأله أنا أيضًا.. لا أعلم لم أشغل بالي حقًا.

وصل آدم وكان وحده، سحقًا سيكون اللقاء أكثر توترًا.

اقترب آدم حين رآني، نظر لزين وابتسم له ومّد يده ليسلم عليه.. ابتسم زين بالمقابل ولكنه تأخر حتى مدَّ يده للسلام.

كُنت أشعر وكأني لابد أن أدمر ساحة الحرب قبل أن تقوم الحرب حتى.. بين رجل كان يريد ورجل قد كان، بين الوهم والحقيقة، بين زين وآدم..

بالطبع بفطرة الرجل فإنه يشعر عندما يكون هناك اشتباه بالتهديد، أمام ماضٍ.. يعرف من النظرات والتوتر.. يعرف دائمًا.

مسك آدم يدي وقبّلها وهو يقول لي بنبرته الحنونة المُعتادة:

- وحشتيني.



لم أستطع أن أمنع نفسي من الابتسام والنظر له طويلًا، فقد اشتقت له حقًا ولكني حاولت قدر الإمكان مراعاة شعور زين الذي لم يراعِه آدم أبدًا قصدًا.. وكأنهما مثل الحيوانات المفترسة، كلٌّ منهما يحاول فرض قوته وسيطرته...

لم يتحمل زين هزيمته، لم يتحمل نظرات آدم الواثقة، لم يستطع تخيله زوجي، الرجل الذي سأنام بين ذراعيه غدًا.. رأيت ذلك بعينيه فبرغم كل شيء أنا أعرف زين جيدًا.

سأله آدم : إيلين ماحكتليش عنك قبل كدا، تعرفها منين؟

نظر لي زين طويلًا وكأنه يعاتبني أني حتى لم أعطه حقه في الأسبقية..

ولكن كان زين بمنتهى القوة وهو يجيب:

- أنا واحد كان وماكانش، فمعاها حق ماتجيبش سيرتي.. الكلام في الماضي كتير بيرجّعك ورا.. وإيلين طول عُمرها بتتجاوز، بتتجاوز الناس والأماكن والسنين، بتتجاوز الحب والكره.. حُرة من الذكريات والوجع.. وكأنها طفل صغير بينسى بسرعة، يعيط دقيقة ويضحك بعدها.. أنا الدقيقة اللي بكيت إيلين فيها وبعدها سافرت عشان تهرب من إنها تبكي تاني.. وهناك إنت كنت الدقيقة اللي بتضحك فيها.. يا عالم بالدقيقة الجاية.

شعر آدم بالغضب فجاوب بمنتهى الحزم والسرعة: الدقيقة الجاية في حضني.



شعرت أني في منتصف صراع قوي، صراع يشبه موج البحر، مد وجزر وكُنت أنا مثل الشط، الذي يرتطمان عنده ولكن أبدًا لا يقدر أحدهما أن يتعدى الشط، كانا عاشقين متمرسين.

حاولت تهدئة الوضع.

- ياسمين وسام وعُمر فين؟

- تعبانين، راحوا على الأوتيل على طول وقالوا هيناموا ونتقابل لما يصحوا عشان بُكرة اليوم هيكون طويل.

استأذن زين للرحيل، كأنه قد علم أن دوره هنا انتهى.. أن هنا آخر الطريق.

صمت آدم لدقائق وكأنه ينتظر مني أن أحاول أن أبرر له أو أحكي ولكني صمتُّ فسألني:

- كنت بتحبيه؟

- كنت فاكرة إني بحبه، لحد ما قابلتك.. عرفت إن عُمري ما عرفت يعني إيه حُب قبلك.

كانت تلك الكلمات كافية لتهدئة غيرة آدم التي لم أرَها بتلك القوة من قبل.. كان متوترًا يحرك قدميه بسرعة، وضعت يدي فوق رجله.. نظر لي وتوقف عن تحريكها.. اقتربت له وأنا أهمس: «أنا بحبك».. ابتسم وكأن تبدد كل ذلك التوتر والخوف والغضب، اختفى.. كان آدم ذلك العاشق المزاجي، بكلمة يصعد للسماء وبكلمة يُدفَن في أعمق عمق للأرض..



كان التعامل معه أبدًا ليس السهولة التي أظنها ولكني تعلمت بطريقة ما أن أهدئه.. فلم يكن يتطلب مني الأمر أكثر من كلمة حنونة يشعر أنها من قلبي له وحده.. فقط هو، كان يشعر بالخوف أحيانًا، شكاك في البعض الآخر.. ربما مَرّ بتجربة سيئة، ولهذا لا يستطيع الوثوق بسهولة وكأنها مثل الندبة التي تؤلمه من حين لآخر.. سيخبرني بكل شيء.. أعلم، سيخبرني.

❋ ❋ ❋



آدم

جاء اليوم الحاسم، اليوم ستكون إيلين هي زوجتي.. ستكون لي.. دائمًا وأبدًا وحتى تنتهي الأبدية.. لي فقط.

قد كتبنا الكتاب قبل أن أسافر.. أصرت أمها على ذلك ولم يعترض أحدنا.. ولكن اليوم سنكون بمنزلنا.. سنعيش سويًّا.. سأستيقظ بجانبها، سأحضنها وقتما شئت، سأراها وقتما أشاء.. ستكون معي..

أشعر وكأني لم أتزوج من قبل، أشعر بتوتر وقلق بنت عذراء تتزوج للمرة الأولى.. ولكن أكثر ما أشعر به هو الخوف من الفشل، أنا لا أستطيع أن أفشل مجددًا، ليس مجددًا أبدًا.. لا أستطيع تحمُّل الفراق، لقد انتهى رصيد قلبي من تحمُّل الألم والفراق، لم يعد لدي طاقة لأتحمل الوجع.. لقد هلكت واستهلكت.. لم يتبقَّ مني ما يقوى على فراقها.

يمر الوقت وهي تستعد، هي تستعد وأنا خائف.. هل أنا أرتكب جريمة في حقها، هل ستتركني يومًا ما، أنا خائف.. خائف كثيرًا وأحبها أكثر.



جاءت اللحظة المُنتظرة.. وأنا ذاهب لإيلين لأراها أخيرًا، أراها في فستانها الأبيض، لا أريد أن أشبهها بالملاك، لا أريد أن أشبهها بأي شيء تم وصف إنسان به من قبل.. هي لا تشبههم في أي شيء هي فقط إيلين وربما إن أردت مدحها فقط لأقول اسمها لأن لا يوجد ما هو يشبهها.. هي فقط.

***



إيلين

جهزت لعرسي، أشعر بالخوف كثيرًا ولكني سأكون مع آدم، معه وزوجته للأبد.. أشعر كأني أحلق لا أمشي.. حولي أصدقائي وكل مَن أحب.. لا يمكن لليوم أن يكون مثاليًا أكثر من مما هو.

لبست الفستان الذي اختاره آدم مفاجأة.. دخلت غرفتي لأجده على السرير في علبة ضخمة ومعه الحذاء وكُل شيء.. لم يفته شيء أبدًا كأنه يعلم جيدًا ما عليه فعله.. لطالما لم يفته شيئًا ليجعلني أسعد شخص على كوكب الأرض.. كنت أبدو كأميرة من أميرات ديزني.. ليس من طبعي أن أستخدم مساحيق التجميل ولكنه قد أحضر لي أفضل makeup artist حقًا أحببت بساطته وجماله.

أشعر بالتوتر من الحياة الجديدة، من أني سأكون أمًّا يومًا ما، هل سأكون أمًّا جيدة؟ هل سأكون مثل أمي حنونة وحازمة، صديقة وأمًّا.. كنت أعتبر أمي صديقتي ولكنها كانت تحقق تلك المعادلة الصعبة من الصداقة والاحترام المتبادل، جعلتني أخاف من ألا أكون عند حُسن ظنها بي



وليس أن أخاف منها.. أراها اليوم سعيدة، سعيدة للغاية.. هل سأكون أمًّا رائعة مثل أمي.. فكرت في كل ذلك وأنا أتامل تحركها المستمر، وكأنها لا تمشي بل تطير، وكأن الجاذبية ليس لها تأثير عليها أبدًا.

كُنت أريد أن أذهب عند آدم، لا أستطيع أن أصبر حتى يراني وأراه.. لم أكن أبدًا الشخص الذي يهتم بما يجب أن يحدث بل بما أريد أن يحدث.. تسللت خلسة حتى اقتربت من غرفته ووجدته يصرخ.. توقفت مكاني لم أستطع أن أتحرك.. شعرت بصراع بداخلي أن أقترب وأحاول التنصت أم أفتح الباب وأدخل أم أبتعد وهو سيخبرني بكل شيء في الوقت المناسب.. هو قال إنه سيخبرني.. لم أجد نفسي إلا وأنا أقترب وهو يقول:

- يعني إيه زوجتك انتحرت، هو أنا حاططها في مصحة ولا في مزبلة.

كان يصرخ بالإنجليزية.. لا أعلم هل سمعت شيئًا عقب كلمة زوجتك تلك، أي امرأة، أي زوجة.. أنا هنا بخير.. أم أني انتحرت وهذا شبحي.. وقفت دقائق لا أستوعب ما حدث.. حتى دخلت عليه.. حاول إخفاء ما به ولكنه فشل.. جلست وقلت: «زوجتك انتحرت؟»

شعرت أنه فجأة لم يكن يسمعني وكأن انهارت كل قواه على محاولة ادعاء إنه بخير.. جلس أرضًا واضعًا يديه على رأسه وصامت..



وأنا أعيد الجملة مرارًا وتكرارًا كراديو مُعطَّل.

حتى فقدت قوتي على التماسك وأنا أصرخ: «أي زوجة!»

حتى قالها، أخبرَني كل شيء أخيرًا.. قال:

- مراتي، أنا متجوز.

شعرت أني أنهار، لا يستطيع عقلي استيعاب تلك الحروف التي قالها.. ثلاث كلمات.. فقط ثلاث كلمات قدروا أن يقتلوني، أشعر أن تلك الكلمات ليست كلمات بل سكينًا، هُناك ثلاث سكاكين في جسدي الآن.. واحدة بقلبي وواحدة بعقلي وواحدة في رئتي، فأشعر أني لا أستطيع التنفس وكأني أنزف وقلبي يتألم، لا ليس يتألم.. أشعر أنه - فلنفترض أن هناك كلمة أقوى من يتفتت- أتفتت.. أستطيع سماع صوت فتات قلبي في عقلي.. عقلي خواء.. فارغ، صامت إلا من صوت فتات قلبي المتهمشة..

اقترب وهو يبكي ويقول:

- أنا هفهمك كل حاجة.

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أقلع الفستان، فستاني.. أخلعه، أمامه.. بقيت عارية.. أمامه، وكأني أفضِّل أن أكون عارية على أن أرتدي شيئًا منه.. جلست أرضًا منهارة، صامتة، متألمة، صامتة، صامتة وصامتة وأسمع صوته يتكلم ولكني لا أستطيع تمييز حروفه.. حاول منعي من خلع الفستان وهو يحاول أن يحضني ويقول «إهدي، هفهمك»..



لا أستطيع أن أعد عدد المرات التي قال فيها تلك الكلمات.. لا أستطيع ولكنه قالها كثيرًا وأشعر أنني لم أستطع سماعها كما يجب.

جلس بجانبي صامتًا بعدما أغلق باب الغرفة حتى لا يدخل أحد ويجدني عارية.. جلس بجابني وهو يردد اسم جوزيف.

ليكسي، نعم تلك الليكسي التي قال اسمها يوم كان ثملًا، هي زوجته.. زوجته التي انتحرت ومَن هذا جوزيف أيضًا.. إنه متزوج، متزوج آدم.

- كنت بحبها، حبيتها سنين عُمري كلها، اتجوزتها، اتحديت العالم كُله وخلفنا.. جوزيف..

أخرج هاتفه وهو يريني صورته وهو يبكي بحرقة.. كان من الصعب فهم كلامه.. لم يكن بحالة جيدة أبدًا ثم أكمل:

- مات، أنا قتلته.

شعرت فجأة وكأني انتبهت لكلامه.. توجهت من النظر للعدم لوجهه الشاحب، المتألم، وجه الأب المكلوم.. ألهذا زادت دقات قلبه عندما أخبرته أني أريد ابنًا منه.

- يوم ما قالتلي إنها خانتني كنا راكبين العربية راجعين البيت، عملنا حادثة.. مات، إبني مات.

ظل يبكي وكأنه لم يبكِ موت ابنه أبدًا، لم أشعر إلا أني



أبكـي معـه.. أبكـي كل شيء.. أبكـي مـوت ابنـه وكأنـه أبنـي، أبكـي بُـكاءه وأبكـي حتـى مـوت زوجتـه.. زوجتـه التـي هـي ليسـت أنـا وابنـه الـذي ليـس منـي.. أبكـي معـه ويبكـي بُحرقـة وهـو يقـول:

- عارفـة يعنـي إيـه تتوجعـي وانـتِ حتـى مـش متأكـدة إنـه إبنـك.. سـاعات كتـير كنـت بفكـر هـل جوزيـف إبنـي فعـلًا، إبنـي ولا إبنهـا هـي.. بـس مـات في حضنـي، مـات وأنـا بقولـه كل حاجـة هتبقـى كويسـة.. مـات وهـو باصصـلي.. آخـر حاجـة شـافها هـي أنـا.. مـات.

وبكى، بكى كما بكى يوم ثمل.. بكى وهو يقول:

- مـا قدرتـش أطلقهـا، أنـا مـوّت ابنهـا وهـي مـن سـاعتها في حالـة صدمـة.. مـش بتتكلـم.. حاولـت كتـير أعالجهـا بـس فقـدِت النطـق.. ماقدرتـش أتخـلى عنهـا.. يمكـن لـو كنـت طلقتهـا لمـا عرفـت وسـيبتلها الولـد كانـت هتفضـل عايشـة بـس أنـا مـوّتهـم الاتنـين، ماقدرتـش أتخـلى عنهـا.. مـوّتهـم ومُـت.. مافيـش حاجـة خلّتنـي أحـس إني عايـش غـيرك.. غـير لمـا شُـفتك.. كإنـك صلحـتِ كل كسـر فيَّـا، كل وجـع.. أنـا خبيـت عشـان خُفـت تسـيبيني وتمـشي.

كان يرتـدي آدم روب الأوتيـل.. نظـرت لـه، اقتربـت منـه وخلعتـه عنـه.. كان ينظـر لي بعـدم فهـم ولكنـه كان عـلى اسـتعداد أن يفعـل لي كل شيء.. كل شيء حتـى أهـدأ..



كان هناك خبط على الباب.. صوت ياسمين وأمي ولكني لم أبالِ أبدًا..

نظرت إلى جسده وتأملته ثم حضنته.. بقيت ساكنة، لم أبكِ لم أتحرك.. فقط أخبرته: «أنا زوجتك وأريدك».

نظر لي بعدم استيعاب.. كنت كطائر مقتول وفقط يريد الرقص.. اقترب مني، قبّلني.. بكى، بقي يبكي وهو يقبّلني.. وبكيت أنا أيضًا.. كنت بين ذراعيه، معه.. بين ذراعي آدم، آدم حبيبي، حبيبي المتزوج وزوجته انتحرت منذ قليل.. كنا نتألم، تألمت نفسيًا وجسديًّا.. بقيت أبكي، وحاول هو أن يتم دوره جيدًا، كجندي مطيع يحاول تحرير بلده، حاول أن يحرر جسدي من الألم.. حاول وحاول حتى انتهينا، انتهى وانتهينا.. بقينا نائمين وأنا أنظر له، ينظر لي صامتًا لا يفهم شيئًا ولا يستعوب شيئًا أبدًا.. ابتسمت له وقلت بمنتهى الثبات:

- طلقني.

أغمض آدم عينيه وكأنه كان يتوقع أي شيء، كأنه كان ينتظر تلك الكلمة ولكن منذ ساعة، كان ينتظرها قبل أن أجعله يكون أول جندي يرفع علم بلاده على جسدي.. فتح عينيه وهو يحاول أن يجد الكلمات المناسبة.. حاول لمسي ولكني صرخت بانهيار:

- طلقني.

ثم اقتربت منه بهدوء وقلت له همسًا:



- هي خانتك عشان هي خاينة مش عشان إنت فيك مشكلة.

ثم نهضت متألمة.. شعرت أني لا أستطيع الوقوف على قدميّ، شعرت بالألم النفسي والجسدي.

لم يرد آدم أبدًا على جملتي فقط صمت.. ارتديت روب الأوتيل واستعددت للخروج.. لمقابلة الواقع.

رأتني أمي شعرت بالفزع.. أخبرتها بمنتهى الثبات:

- مش هتجوزه، هنتطلق.

ثم رحلت دون انتظار ردها.. دخلت لغرفتي أرتدي ما وجدت من ثياب وخرجت من الأوتيل لأجد زين أمام الفندق.. مترددًا بين الدخول أو الخروج.. نظرت له ولم أتحدث..

- إيلين، مالك!

دخلت لسيارته ولم أتحدث أبدًا.

بقيت صامتة.. وبقي يتأملني للحظات وهو يقود، أخبرته أني أريد أن أذهب للساحل الشمالي، كان على الطريق إلى هُناك وهو يحاول أن يفهم مني أي تفاصيل، ولكنه أبدًا لم يستطع أن يجعلني أخرج عن صمتي.

نمت إرهاقًا.. كنت أشعر بجسدي يئن من الألم، وقلبي يتفجر من الخذلان وعقلي يكاد أن يترك جسدي ويرحل من الصداع.

وصلنا ولم يسألني زين عن أي شيء.. فقط أخبرني أنه



سيذهب لشراء بعض الأشياء، سألني إن كنت أريد أي شيء.. لم يجد مني حتى إجابة.. فنظر لي بحزن وذهب..

كُنت أعلم أنه يحبني كثيرًا، يحبني مثلما أنا أحب آدم.

هل ما زلت أحبه بعدما علمت كل الحقيقة، فالحقيقة أشعر بالشفقة عليه.. أشفق على قلبه أنه واجه الخيانة مع موت ابنه.. لم أشعر بالغضب منه بقدر ما شعرت بالشفقة.. لم يكن حبًا بل شفقة.. أحبه كثيرًا ولكني لا أستطيع أن أكون مع رجل كاذب أبدًا.. لقد تدمرت ثقتي فيه حتى وإن لم يكن مذنبًا.. ما كنت لأتركه أبدًا لو قال لي الحقيقة بل كنت أحببته ضعف حبي، فكان حبي خائفًا منه.. مترددًا، كنت أحببته بلا حدود ولا خوف.

كُنت سأحبه كثيرًا..

لم أجد نفسي إلا أبكي، أبكي كما لم أبكِ من قبل.. أبكي وأصرخ.. أكسر كل شيء.. لم أشعر بنفسي إلا وزين يدخل ليترك كل شيء بيده ويجري ليحاول تهدئتي وهو يحضني.

جلست أرضًا أبكي، جلس زين معي.. جلس يحاول تهدئتي من ألمي من رجل غيره.. ما أقواه!

بعد عدة ساعات، بدأت أن أستعيد وعيي قليلًا.. تركت هاتفي وكل شيء بالفندق، ليس معي أي شيء.

نظر لي زين متسائلًا ولكن صامت.

- زين، تتجوزني؟

***



آدم

تركتني، رحلت إيلين.. لقد عاشرت مئات النساء، لا أتذكر عددهن.. لم أشعر مع أي امرأة ما شعرته معها رغم كل ألمي وخوفي ودموعها.. كان شيئًا استثنائيًّا مثلها..

دخلت ياسمين لتجدني عاريًا، فقط مغطي بلحاف وأبكي، أبكي بحرقة..

دخلت بسرعة جلست بجانبي وهي تسألني ماذا حدث فزعة وأم إيلين معها.. نهضت ياسمين تحضر لي ثيابًا لألبسها.. وأنا جالس وكأني فاقد الإدراك.. لا أقول شيئًا سوى : «عرفت وسابتني».. تقبل ياسمين رأسي وتخبرني:

- تمام، ما عليك حبيبي.. بنحلها، إهدا.. يالا ألبس.

- سابتني.

- تمام خلاص، بترجع.. أنا بحكي معها وبفهمها كل شي.

نظرت أم إيلين للغرفة، فما هي لحظات حتى استوعبت ما حدث هنا.. أين ابنتها، ماذا فعلته، لمَ تركته.

- قالتلي طلقني.

- آدم، إهدا عشان خاطري.

بكيت ياسمين ووقفت أم إيلين غير مستوعبة لكل شيء.. فقد لحق سيارة زين سام وعُمر ولكنهما ليسا من هنا وفقدا أثره..

لم يكن آدم يحتاج أن يشرح ماذا حدث.. فساعدته ياسمين على ارتداء ملابسه ثم طلبت خدمة الغرف أن يخفوا ما تبقى من إيلين.. كانت تعلم ياسمين أن رد فعل إيلين لن يكون هّينًا أبدًا ولكنها لم تتوقع هذا الخلل.. شعرت أن الموضوع سيكون أصعب مما تصورت أبدًا.





إيلين

كان يعلم زين أني لست بخير ولذلك لم يأخذ كلامي على محمل الجد.. قبّل رأسي وأخبرني:

- تمام، نامي دلوقتي ونتكلم لما تصحي.

- تعرف إن تقريبًا ماحدِّش كرهني في حياتي أدّ ما انت كرهتني، ومافيش حد معايا زي ما انت معايا.

- عشان مافيش مخلوق هيحبك زيي.

صمتّ وشعرت أني لست بخير أبدًا.. أن قلبي يتألم، أنه يجب أن أجعله يتألم مثلما آلمني ولكن ألم يتألم هو بما يكفي؟.. كنت في صراع ولكني في كل الأحوال كنت مصممة على زواجي من زين.

عندما استيقظت شعرت أني أريد أن أرجع للمنزل، ألا أجعل أمي تقلق أكثر، أن أواجه آدم وأواجه العالم.

حقق زين طلبي وأخذني لمنزلي.

وجدت أمي جالسة.. كان يبدو على وجهها الألم وكان معها آدم في المنزل، أعتقد كان يحكي لها كل شيء عند وصولي.. وصلت ومعي زين..



عندما رآه آدم شعر بالغضب الشديد.. تأمله زين بصمت.

ثم أخبرت آدم:

- مشيت في إجراءات الطلاق؟

تأملني في صمت.. اقترب ليجلس على ركبتيه أمامي وهو يقول:

- أنا مش هقدر أطلقك.

لأرد بمنتهى الجفاء.

- لا، لازم تطلقني لأني هتجوز زين.

هنا قامت أمي ولأول مرة تضربني أمي، تضربني بالقلم والألم.. تضربني وهي تقول: «إنتِ اتجنيتِ بقى فوقي».

صمت آدم وكأنه مصدوم.. صمت وأنا أصرخ، صمت وأنا أنهار وأبكي وأمي تنهر زين ليرحل..

صمت ولكنه كان يجب أن يسافر لليكسي حتى يدفنها ويستلم جثتها.

نظر لي وهو يقول في رجاء:

- أنا هسافر النهارده وأحاول آجي بأسرع ما يمكن.. مُمكن ماتاخديش أي قرار لحد ما آجي؟

لأنظر له وأقول في حزم:

- إنت لو اتحركت من هنا من غير ما تقولي إنتِ طالق.. هموّت نفسي.



وكان يشعر إني جادة ولم يستطع أحد أن يقول أي شيء.. فأنا لم أبدُ في حالة تسمح لهم بالتعديل على قراراتي

فاقتربت منه وقلت بنفس الحزم:

- هموّت نفسي، وتبقى قتلت تلاتة يا آدم..

وما لبثت أتحرك حتى وجدته يقول في صوت محشرج:

إنتِ طالق.

دخلت إلى غرفتي في حالة انهيار.. قد انقلبت حياتي في يومين فقط.. تحطم كل شيء.. تدمرت، لن أستطيع هذه المرة.. لن أستطيع أن أغفر.. ولا أستطيع أن أكون دونه ولا معه.

شعرت بالتسرع والطيش لما قلته لزين، لا أستطيع أن أعلقه معي مرة أخرى.. لا أستطيع أبدًا.. أتمنى أن يكون قد فهم أنه مجرد تهديد لآدم ..كنت أشعر بالقسوة لما ارتكبه مع زين.. أن أعطيه أملًا وأجعله يحلق في السماء دقائق ليتألم في المقابل سنين.

شعرت أني أريد أن أنعزل لأعوام في غرفتي.. فقط أنا وخيبتي.





آدم

وصلت أنا وياسمين لمطار لندن، كنت في حالة يرثى لها، لم أكن بخير أبدًا.. كانت ياسمين معي.. تطمئنني أنه سيكون كل شيء على ما يرام مع إيلين، إنه لن يكون شيء على ما يرام ولكن كانت نبرة الثقة تلك في صوتها تجعلني أشعر بالأمل.

كُنت خائفًا، رغم كل شيء حدث لم أنسَ أبدًا أن ليكسي انتحرت بسببي.. تذكرت قولها «هفضل أحبك لحد آخر نَفَس ليَّا».. قد صدقت في وعدها، ربما قصدت ذلك.. لقد دمرتني ليكسي، دمرتني حين خانتني ومات ابني ودمرتني الآن حين ماتت وتركتني إيلين.

أيمكن أن يكون شخص في حياتك هو لعنتك التي لا تستطيع الخلاص منها.. الشخص الذي يستطيع أن يدمر حياتك سواء قريبًا أو بعيدًا.. يستطيع أن يؤثر بحياتك حتى وإن لم يكن فيها.. أيوجد حقًا لعنة الفراعنة، لا أعلم ولكني متأكد من وجود لعنة ليكسي فستكون هي لعنتي الأبدية.



ذهبت إلى المستشفى ولم تتركني ياسمين، لم تتركني كعادتها واحتجت لها كعادتي..

قالوا يجب أن نرى جثمانها.. شعرت بالرهبة، بالخوف، بالفقدان.. أنا فقدتها، ماتت، انتحرت بسببي.. أحقًا ما قالته إيلين أني قتلتهم.

مسكت ياسمين يدي محكمًا عندما جعلونا نرى وجهها.. شعرتها خائفة، كانت مرعوبة وتحاول أن تطمئني.. استثنائية هي.. فعندما يتخلى عني الجميع توجد هي.. هي فقط.

كانت ليكسي، ولكن بوجه شاحب، عين مغمضة.. ما زالت جميلة رغم كل شيء.. قبَّلتها، شعرت أني أريد أن ألمسها للمرة الأخيرة ولكن ليست هذه رائحتها.. فذهبَت ليكسي هذا فقط جسدها.. تأملتني ياسمين بعينين دامعتين.

وعندما خرجنا بكت ياسمين، لم أبكِ أنا بل هي.. حاولت تهدئتها وهي تقول «كُنت دايمًا باجي لها أتطمن عليها، كنت بفضل أحكيلها عنك.. كانت بتبتسم، ساعات كنت بحسها هترد عليَّا بس بتسكت.. كإنها خايفة لو اتكلمت نسألها ليه ونعاتبها.. فضلت السكوت دايمًا على الكلام.. أنا كنت بحبها يا آدم، كنت بحبها لإني حبيت ابنك.. أنا زعلانة وموجوعة.. ليه مفيش حاجة بتمشيلك صح؟»



كانت منهارة وكأنه يجب أن ينهار أحدنا على حياتي المُدمرة.. ضممتها وحاولت أن أهدئها.

انتهينا من إجراءات الدفن، أحيانًا أتساءل لمَ يخلق الإنسان إذا كانت نهايته للعدم، لماذا يُخلَق ويُعذب وعندما يموت أيضًا يُعاقَب على خطاياه.. وعندها تذكرت «لقد خلقنا الإنسان في كبد».. لماذا خلقتنا يا الله، لماذا تجعلنا نتألم، نتمنى الموت.. لماذا خلقت الموت، العدم، النهاية.. لطالما كرهنا النهايات، لماذا وضعت لكل شيء نهاية في حين أنه كان يمكن أن تترك دائمًا ثغرة، طريقة للهروب.. أما كانت الحياة ممتعة أكثر إذا كان هناك طريقة للهروب من القدر والموت.. أن تتلاعب بعقلنا البشري المحدود بالخلود.. ما الذي يجعلنا نعافر ونحاول إن كانت نهايتنا كُلنا الموت والهلاك.. أم إنك تعرف أن الإنسان لن يتحمل الخلود في هذه الحياة، إنه سيسعى دائمًا للهلاك والموت ولذلك حرمت الانتحار.. حرمت الثغرة التي كانت لتنقذنا من العبث الذي نواجهه.. ما الذي يستحق أن نتألم من أجله إذا كنا سنكون وحدنا في النهاية بمكان بالكاد يكفي حدود أجسادنا.. لماذا نحب ونعشق ونتزوج وننجب إن كنا سنموت وحدنا.. لماذا؟

الوحدة والموت هما الحقيقة الوحيدة المُطلَقة في هذه الحياة.





إيلين

فات أسبوع على سفر آدم.

أسبوع على ذلك اليوم المشئوم، أسبوع على آخر مرة كنت بين ذراعيه وأسبوع وما زلت أحتفظ برائحته في رئتي وصوته بقلبي.

أسبوع وأنا أحاول ادعاء التماسك، ادعاء أنني بخير، أنني قوية.. لم أستطع الخروج من غرفتي بعد.. ما زلت أتجاهل مكالمات زين.. ما زلت أتجاهل أصدقائي، ما زلت أخبر أمي أني بحاجة أن أبقى وحدي، وما زلت أريده هو.. هو فقط من يستطيع أن يخرجني من تلك الغرفة اللعينة.

ولكني لن أغفر له، ليس الآن.. أحتاج الكثير من الوقت حتى أستطيع أن أثق به مرة أخرى وربما لن أستطيع أن أثق به أبدًا.

تهاتفني ياسمين دائمًا.. تطمئن عليّ وتطمئنني عليه دون أن أسأل.



ياسمين ليست فقط صديقته بل أيضًا صديقتي.. أحيانًا كنت أشعر بالغيرة من صداقتهما، أغار من أنه يركض لها ولكنها تستحق.. فعندما أخبرني أنا تركته، هي بقيت معه.. هي معه الآن في جنازة ليكسي، تحتضنه إذا بكى.. تسمع منه وليس عنه.. هي تعرفه جيدًا.. هي عاشت معه كل شيء، هي كانت معه.. أحبها كثيرًا وأغار منها كثيرًا ولكني أريدها دائمًا معه.. أطمئن أنه بخير طالما هي معه لن يمسه سوء، وإن مّسه ستكون معه تهون عليه.. أستغرب أحيانًا إنه لم يحبها أبدًا ولكن أظن أن أفضل شيء حدث لهما أنهما لم يقعا في عشق بعضهما.. فالصداقة عمرها أطول من عمر العشق.

قررت أنه يجب أن أقابل زين، أن اخبره كل شيء، أني أحب آدم وأني أبدًا لن أحب أحدًا مثلما أحبه.

كان قد مّر شهران الآن على غياب آدم.. شهرين أقنعت فيهما ياسمين أن تجعله يبتعد عني لأستطيع أن أغفر له، ربما.

إن وجوده معي لن يجعلني أفضل، سيذكرني بكل شيء، بكل مرة حاولت فيها أن أجعله يعترف ولكنه فضَّل الصمت والكذب على إخباري الحقيقة.. شهرين وسأظل أحسب الكثير من الشهور بعد.

كنت قد قررت أن أستقر بمصر هذه الفترة، هاتفني دكتور فايز ينتظر عودتي ظننًا منه أني بباريس لقضاء شهر



العسل.. وجدت أنه من الأسهل أن أقول له إني سأبقى في مصر عدة أشهر على أن أشرح له كل شيء حدث وأني لم أذهب لباريس حتى.

وحانت لحظة لقائي مع زين.

ذهبت إلى مكاننا المعتاد، وكان ينتظرني وقد طلب لي قهوتي الفرنسية المُفضلة.

- افرض كنت هطلب حاجة تانية طيب؟

- بقالك سنين بتقولي كدا وكل مرة بتطلبي قهوة في الآخر.

قال هذه الجُملة وهو يطفئ سيجارته ثم ينظر لي منتظرًا مني ما أنتظره مني منذ أكثر من خمس سنوات.. ينتظرني أنا فقط.

- زين، أنا مش مستعدة.. أنا مريت بفترة صعبة جدًا وانت كنت معايا، أنا مابقاش عندي حاجة أديها لحد، مابقتش حاسة إني هقدر أحب.

ابتسم وهو يقول:

- نفس الكلام اللي قولتيهولي من سنين رغم إن بعدها كان عندك اللي تديه لغيري.. أنا مش هسمحلك المرة دي تضيعي مني، أنا هسيبك تخلّصي حججك كلها لحد ما مايبقاش فاضل جواكِ حاجة غير إنك تبقي معايا.



كعادة زين يجعلني أصمت أمام إصراره، ألا أجد الحروف الكافية.. ما زلت لا أعلم هل سأغفر لآدم يومًا ما، هل سيأتي آدم؟.. إن كان يريد آدم أن يأتي ما كان لمنعه الكون، ولكنه لم يأتِ.. ربما خائف، أو ربما ببساطة لن يأتي.. وربما احترم قراري، ولكن نحن أحيانًا نقول الشيء ونريد عكسه.. عندما أخبرت ياسمين أنه يجب أن يكون بعيدًا.. أردته هنا، معي.. أردته يحاول أن يسترد ثقتي به.. ألا يتخلى عني.. أردته أكثر من أي شيء.

كان ينظر لي زين بتلك النظرة التي لم تتغير أبدًا منذ يوم عرفته.. ظننت أنه الوقت المناسب الذي أخبره فيه أني لست عذراء.. ربما يغيّر ذلك رأيه.

- زين..

- نعم.

- أنا وآدم اتجوزنا.

- آه واتطلقتوا.

- لا قصدي، اتجوزنا فعليًا.

وجدته تغيرت تعابير وجهه، شعرت بالغضب والغيرة تملأ ملامحه..

- إزاي يعني؟



- زي ما أي اتنين بيتجوزوا.

- ...

صمت وأشعل سيجارته بغضبٍ ملحوظ وهو يقول:

- آه وبعدين؟

- حسيت إنك لازم تعرف مادام مصمم.

❋ ❋ ❋



آدم

اشتقت لها.. أشعر وكأني كلما أبقيتها في قلبي تكبر، لا يساعها قلبي.. كلما حاولت كتمها بداخلي تُفيض، تملأ أحشائي حتى تصل لعقلي، يمتلئ بها.. تُحيطه كأنه لا يوجد ما هو بالعالم غيرها.. هي فقط.

حاولَت أن تقنعني ياسمين أن إعطاءها الوقت المناسب سيسهل مهمتي، أن أجعلها تشتاق، أجعلها غير واثقة من مجيئي، أن تقلق من عدم وجودي، اختفائي فعندما أظهر رغم غضبها منّي ستكون مشتاقة لي.. ولكن لم يمنع ذلك خوفي من أن تتخطاني، أن تنسى، أن تقسو بمرور الوقت.. ألّا يدق الاشتياق وينخر بشرايين قلبها العنيد.. كنت خائفًا ولكني كان يجب أن أجازف.. وطبعًا كيدهن عظيم، كانت خطتنا تنجح على الرغم من أني كنت أريد أن أكون معها بكل لحظة، ولكن أنا كنت أحتاج الوقت لتخطي موت ليكسي، وهي تحتاج وقتًا لتقبُّل وجودها وموتها بنفس اللحظة.

وسط كل تلك الأفكار شعرت بغصة بقلبي.. لا أعلم،



ولكنـي أردت فقـط أن أهاتـف إيلـين.. أسـمع صوتهـا.. أشـعر أنهـا ليسـت بخـير.

جاءت ياسمين..

- عايز أكلم إيلين، حاسس إنها مش كويسة.

- لسه مكلماها الصبح، كويسة ما تقلق.

- لا مش متطمن.

- بـس يـا عـم الحنيّن، اتقـل عشـان خطتنـا تمـشي تمـام، هـي قرَّبـت تسـتوي وبـتروح لعندهـا وبتتزوجـوا وبخلـص منكـم وبشـوف حيـاتي اللي مـش عارفـة أعيشـها كإني خلفتك ونسـيتك دي.

- أنا مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه.

- كنـت هتعمـل كل حاجـة بـس ماكنتـش هتلاقـي صديـق يحبـك زيـي دا الأكيـد.

أحـب ثقـة ياسـمين بحالهـا، وكأن لم يخلـق الله امـرأة مثلهـا.. وبالرغـم من تلـك الثقـة أحيانًـا أشـعر أنهـا طفلـة صغـيرة تحتـاج الحنـان، تحتـاج لرجـل يخبرهـا كـم هـي رائعـة وسـاحرة.. وكأن ثقتهـا لا تكفـي لإرضـاء تلـك الطفلـة الصغـيرة المدللـة العنيـدة.

ثملـت ياسـمين وكأن هنـاك مـا تريـد أن تنسـاه، تريـد أن تخرجـه مـن قلبهـا وكأن هنـاك شـيئًا يعبـث بعقلهـا.. جلسـت بجانبـي ووضعـت رأسـها عـلى كتفـي كعادتهـا وهـي تقـول:

- آدم، نحن ليه صحاب وما حبيتني كل ها السنين.



- لأني مستعد أخسر أي حد في الدنيا إلا إنتِ.

- وافرض أنا بحبك؟

توقفت لدقائق أحاول أن أجد الإجابة المناسبة التي تجعلنا نخرج من ذلك الحوار بأقل خسائر مُمكنة.

- بتحبيني دا حقيقي وأنا بحبك، بس اللي بينا أكبر من أي حُب.. اللي بينا مكّمل على عكس أي علاقة هتفنى.

- يعني إنت وإيلين مش هتكملوا؟

- أتمنى نكمل، بس مش متأكد.. دا الفرق، إنتِ متأكدة إني هبقى جنبك وأنا متأكد إنك جنبي بس ماحدَّش فينا متأكد من أي حد تاني.

- هتعمل ايه لو إنت وإيلين ماكملتوش.

- هلاقيكِ جنبي، معايا.. كالعادة هنحاول نوصل لحل مناسب.. لما أعيط هتحضنيني ولما أقع هتسنديني ولما أحس إني مش قادر أكمل هتاخدي بإيدي من تاني.. لأن دا إحنا.. من وإحنا عيال.. ياسمين وآدم.

نظرت لها لأجدها نامت.. كانت تشبه الطفلة التي لعبت كثيرًا حتى أجهدت ونامت، لطالما نامت على كتفي ونحن عائدين من المدرسة، ولطالما استيقظت أنا حتى أرعاها.. لطالما كنا بجانب بعضنا البعض.. كانت أختي التي لم تلدها أمي.. كانت الشيء الوحيد الطبيعي في طفولتي.. الأخت.



إيلين

بعد يومي الطويل ذهبت للبيت كعادتي، أنادي أمي.. أخبرها أني هنا وحضرت كوب الشاي بلبن الذي تحبه لأدخل غرفتها وأجدها نائمة.. بقيت أنادي عليها لأنها لم تهاتفني منذ ساعات معناها أنها نائمة منذ ساعات.. بقيت أنادي عليها.

- ماما، يلَّا أصحي.. عملتلك شاي.

بقيت أردد الجملة كثيرًا ولكن لا رد.

قلقت

اقتربت.

- ماما

لم تُجِب أمي، لأول مرة لم تُجِبني أمي.. اقتربت لها وأنا أقول:

- ماما، بطلي دلع بقى يلّا..

لألمس يدها وأجدها باردة، باردة جدًّا ليست بدفء قلب أمي.. حاولت تحريكها ولكنها لم تتحرك وكأنها مثل قطعة الثلج المُجمدة.



صرخت وأنا أبكي.. ماما، لم ترد عليَّ أبدًا.. لم أعلم ما عليَّ فعله سوى أني هاتفت الإسعاف ولمى.. لمى هي صديقتي بمصر.. طبيبة.

جاءت الإسعاف ولكنهم لم يأخذوها، لن يأخذوها

- يعني إيييه مش هتاخدوها، أومال إنتوا شغلتكم إيه، ماما تعبانة.

- لا، والدتك أتوفت ومافيش حاجة نقدر نعملها.

توقفت مكاني لا أتحرك وكانت قد وصلت لمى، عندما رأيتها صرخت وبكيت:

- شوفي المجانين دول، لمى ألحقيها.

ذهبت لها.. وقفت فقط، لمَسَتْها وتأملتها قليلًا ثم غطت وجهها!

أكُل العالم قد فقدوا عقلهم اليوم!

صرخت وأنا أقول: إنتِ اتجنيتِ زيهم، شيلي البتاعة دي من على وِشها.

حاولت لمى أن تمسكني وتبعدني عنها ولكنها لم تفلح.

- ماما، قومي.. ماما، إنتِ هنا أكيد، ماما إنتِ قُلتِ مش هتسيبيني وتمشي أبدًا.. ماما أبوس إيدك أصحي، ماما شوفي دا أنا عملتلك شاي بلبن.. والله مش هزعلك تاني وهساعدك وهعملك اللي انتِ عايزاه.. قومي





ضمتني لمى وهي تبكي وتقول: بس يا إيلين ماتعذبيهاش.

- أعذب مين، ماما كويسة.. هي بس نايمة، يمكن مرهقة ومجهدة فمش حاسة بيّا.. هسيبها تنام شوية وهتقوم تبقى كويسة.

- إيلين، لازم نولع التكييف.

- لا، ماما سقعانة.

ذهبت لأحضر العديد من البطاطين وأنا أغطيها وتحاول لمى منعي..

- وحّدي الله يا إيلين، إهدي.. إهدي يا حبيبتي، لا إله إلا الله.

جلست بجانب أمي، تغطيت معها وفتحت ذراعيها ونمت بحضنها.. نمت أبكي، نمت.. نمت وتركتني لمى، لم تحاول إيقاظي ولكنها هاتفت ياسمين وزين.

نمت وكأن عقلي رافض للواقع، فقط يريد أن يكون بحُضن أمي.. أن يكون هذا فقط واقعي.. فلَن تتركني أمي أبدًا.. أنا أعلم، إذا تركني العالم كله لن تتركني أمي.

ما هي إلا ساعات حتى استيقظت وجدت أمي بجانبي.. كما هي، لم تتحرك، لم تتحرك أبدًا.. وجدت رائحتها تغيرت، ليست هذه رائحتها التي عاهدتها منذ كنت طفلة، لم أرَ بطنها تتحرك كدليل على دخول وخروج النفس.. لم تتحرك أبدًا.. جلست بجانبها صامتة وقلت:



- ماما لو مكاني كانت هتبقى قوية.

نظرت لها وكأني أطمئنها أن كل شيء سيكون على ما يرام، ستكوني بخير.. أنا هُنا، أنا معك لآخر لحظاتك على تلك الأرض البائسة التي لم تسعدك يومًا، لم تكوني سعيدة أبدًا يا أمي.. ولكني معك.. سأجعل كل شيء مثلما أردتِ.. سأوصلك إلى بيتك الجديد ثم أبكي، سأبكي فراقك.. ولكن الآن فقط سأكون قوية، سأكون قوية لي ولك.. مثلما ربيتني دائمًا.. أن أكون قوية في الموقف وأنهار فيما بعد بغرفتي وحدي.. سأكون قوية يا أمي، ستكونين بخير.

استيقظت من مكاني، شغَّلت المكيف، خرجت لأجد لمى.

نظرت لي ولم أنتظر أن تنطق، فقط قلت:

- لمى، لازم نحضر شهادة الوفاة وإجراءات الدفن.. العزا هيكون في المقبرة، ماما مش عايزة عزا دي وصيتها.. والغُسل أنا اللي هقف عليه لوحدي.. يلّا عشان نلحق نخلص على صلاة العصر.

وتحركت للمطبخ لأصنع قهوة لأواجه ذلك اليوم الذي لن يمر أبدًا، وأسألها بصوت عالٍ «عايزة قهوة» لأجد الصمت إجابة.

ربما لم تتوقع أبدًا أن أستيقظ بهذه القوة ولكني في الواقع لست بهذه القوة.. فقط عليَّ أن أدعي، أن أقف لأني وحدي من يستطيع أن يكون بجانب أمي.. أو جثمانها.. وحدي.



جلست بجانب لمى أشرب قهوتي في هدوء ما يسبق العاصفة، هدوء صاخب.

نظرت لي لمى:

- أنا كلمت زين.

- مش هيجي.

- مستحيل مايجيش يا إيلين.

- مش هيجي.

خافت لمى أن تخبرني أنها هاتفت ياسمين، ولكن ما هي ساعات حتى وجدت آدم وياسمين.

كان قد طلع النهار حين وصلا، لم تنَم لمى ولم أنم . فقط بقينا صامتين وحين وصل آدم وياسمين لم يتكلم أحدهما.. دخل آدم فقط لم ينطق بل ضمني لصدره وصمتنا، لم أقاومه، لم أبعتد عنه.. لم أكن أحتاج أحدًا مثلما أحتاجه.. لم أبكِ بل شعرت وكأني أستمد قوتي منه.

اقترب وهمس:

- مش هقولك كل حاجة هتبقي كويسة، بس هقولك أنا هبقى معاكِ في كل حاجة هتحصل لحد ما في يوم تبقي كويسة ومش هسمحلك تعترضي أبدًا.

اقتربت له أكثر وأغمضت عيني وأنا أقول: مش هعترض أبدًا.



بدأنا يومنا الصعب، بدأ كلٌّ منهم بشيء، بدأت لمى تساعدني في شهادة الوفاة وإجراءات الدفن وآدم في الاتفاق وشراء القبر وياسمين معي تنتظرني حتى ينتهي الغُسل..

سمعت المرأة تقول لي: «ريحتها مسك ووشها منور» لأبتسم لها.. هل تقول هذا لكل أهل ميت لتأخذ فلوس البشارة، أم أنها لا تكذب.. بكل الأحوال أمي امرأة رائعة.. لن أقول كانت، لن تكون كانت أبدًا، ستظل هنا طالما حييت أنا..

كيف يتقبل العقل البشري تحويل الشخص من يكون لكان بهذه السهولة لمجرد اختفائه أو موته.. غريب أمره هذا الموت، يأتي لشخص كان يتنفس ويضحك مع أهله منذ لحظات وعندما يأخذ روحه يشعر أهله أنه «أمانة».. يتحول اسمه من اسمه لـ «جثة» وكإنه ليس هو.. يتم غسله ودفنه.. دفنه في التراب كأنه لم يكن أبدًا ويتحول حتى لغويًا، يكون «كان».. فقط كان، ماضٍ وانتهى ولن يعود أبدًا.

انتهى كل شيء.. أمي في التراب الآن، أقف أمامها، كانت معي منذ ساعات، لن أراها أبدًا مجددًا، لن ألمسها أو أسمع صوتها.. لن تنهرني مجددًا، لن تغطيني مجددًا وتطمئن أني بخير في ليالي الشتاء القارص، قرأت مرة جُملة «انتقلت رحمة الله إلى رحمة الله».. مات اليوم الشخص الوحيد الذي



كان يحبني، يحبني وكان ليحبني لأعوام وأعوام مهما فعلت.. ماتت من أعطتني النّفَس، ماتت.

لم أستطع أن أتماسك أكثر.. جلست أرضًا أبكي وأنا أقول:

- وصلتك، ممكن أعيط وأنهار بقى جنبك شوية.. كنت قوية في الموقف زي ما عودتيني أهو.. ماحدِّش وقف على غُسلك غيري.. أنا لوحدي، ماحدِّش لمسك غيري، ماحدِّش شافك غيري.. كنتِ حلوة جدًّا، زي عادتك.. هتوحشيني.. عُمري ما تخيلت إن الموت بيوجع كدا.

جاء آدم ليجلس بجانبي بعدما ودع كل الناس ودفع كل شيء.. لم يجعلني أدفع أي شيء ولم أكن ف حالة تجعلني أستطيع أن أجادل، كنت فقط أريد الصمود والوقوف دون الانهيار.

أخذني بحضنه وأنا أقول له:

- آدم، مش هشوفها تاني.

ليتنهد وهو يقول:

- أقوى حب هو الحُب رغم الغياب، إنك تحبي حد وهو مش موجود.. مش شايفاه، بس دايمًا حَسّه بيه جنبك وحواليكِ.. هي جنبك دلوقتي، لمساكِ.. إنتِ فاكرة إنك مش هتشوفيها تاني مع إن في الواقع دي أول مرة هي



هتبقى معاكِ دايمًا حامياكِ من كُل شر.. هي في عالم الحق، كُلنا هنروح لها.. مهما طال الوقت عشان نفضل مع بعض للأبد.. فلسفة الموت غريبة ولكني دايمًا بشوفها إنها البداية مش النهاية، بداية الأبد.

ابتسمت له، لم يجعلني كلامه أشعر بتحسن ولم يخفِ ذلك الألم بقلبي، ولكنه جعلني أشعر بسلام.. بتقبل الموت بسوئه.

جاء زين، وقف أمامي صامتًا ونظر له آدم بحزم وكأنه برغم كل شيء يعاتبه أنه تركني وحدي.. وكأنه كان يشعر بداخله أنه سيكون معي إذا حدث شيء وهذا جعله يشعر بالاطمئنان والغيرة بنفس الوقت.

قال: ماكنتش عارف هآجي أقول إيه.

- وجيت ليه دلوقتي؟

إمشي وماتجيش تاني أبدًا.. أنا ماكنتش محتاجة حد يقول حاجة بس كنت محتاجة حد جنبي وانت عمرك ما كنت الشخص دا، دايمًا كنت تظهر ولما أكون فعلًا محتاجة حد جنبي تختفي وكأنك كل مرة قاصد تثبتلي إنك مش راجل ولا يعتمد عليك وأنا مش بقتنع بس المرة دي أنا نسيت حتى إني أعرفك.. أنا مش عايزة أشوفك تاني.

- إيلين..

- أمشي يا زين وانسى إنك في يوم لمحتني في مكان حتى مش عرفتني وحبّتني.





وكانـت تلـك نهايـة زيـن، نهايتـه الحقيقـة.. لم يكـن آدم هـو سـبب انتهـاء زيـن بـل أمـي.. مثلـما أرادت دائـمًا، مثلـما قالـت دائـمًا أنـه لا يعتمـد عليـه.. ربـما آدم محـق، إنهـا الآن تسـتطيع أن تكـون معـي دائـمًا، أن تحمينـي دائـمًا.. لقـد دفنـت أمـي زيـن معهـا وانتهـي مـن داخـلي للأبـد.

❋ ❋ ❋



آدم

عندما هاتفت لمى ياسمين وأخبرتها بموت أم إيلين، لم أتفاجأ فأنا لم يخُني إحساسي أبدًا.. كنت أشعر أنها ليست بخير.

بكيت، أنا أحببت تلك المرأة، كنت أريد أن أخبرها قبل أن تموت أني أحب ابنتها، أن أجعلها تشعر أنها بأمان معي.. أني لن أكذب عليها مجددًا، أني أبدًا لن أكسر قلبها مجددًا.. أبدًا، بكيت ذلك الكلام الخفي بداخلي وبكيت ألم إلين الذي أشعر به بقلبي الآن.

ما هي إلا دقائق حتى كانت ياسمين تقول لي إنها حجزت أول طائرة لمصر.. لطالما كانت ياسمين هي منقذتي، جلست بجانبي وبكت وهي تحكي لي مواقف ـا الصغيرة القليلة مع أم إيلين وتتخيل ألم إيلين ابنتها الوحيدة وتقول:

- عارف يا آدم، أصعب حاجة على البنت هو موت أمها.. بتحس إنها اتعرّت، إن صاحبتها الوحيدة ماتت، إن الشخص الوحيد اللي هيحبها دايمًا راح.. بتحس إنها اتيتمت بس لو أمها ماتت.

وذهبنا لإيلين.. كانت تبدو بحالة مزرية رغم قوتها الكاذبة، كانت مثل التمثال الفاقد للروح، تتحرك وتتكلم وتخطط.. ولكنها من داخلها واقفة بجانب جثمان أمها لحظة نكران موتها كما قالت لنا لمى.. كانت تبدو مفزوعة ولا تعرف كيف تتصرف عندما حكت لنا أنها نامت بحضن أمها المتوفاه، تبكي ولا تعرف كيف تتصرف.

أنجزنا كل شيء، انتهينا من كل شيء إلا ذلك الألم الذي سيبقى بداخلنا للأبد.. ألم الفقدان هو ما يبقى مهما طال الوقت، لا يختفي الألم أبدًا ولكننا فقط نعتاد على وجوده بمرور الوقت، نعتاد على حقيقة أننا لسنا بخير ولن نكون أبدًا.. فقط نعتاد.

كانت إيلين بحضني، كانت تحتاج لشخص تعرف أنه يحبها سيكون بجانبها، كانت خائفة، ترتعش.. كانت مثل طفلة تائهة ولا تجد القوة للانهيار حتى، فقط تريد الاتكاء على أحدهم أو ربما أنا فقط... ربما سيكون موت أمها هو ما يجمعنا للأبد مثلما فرَّقها عن زين للأبد.





إيلين

ذهبت للمنزل، لم تتركني ياسمين أو لمى أبدًا.. قررتا أنهما ستنامان معي، قالت ياسمين «كيف بنزل ع فندق وبيت أختي موجود» كحجة منها لتبقى معي، وبالطبع لم أعترض رغم رغبتي في البقاء وحدي كنت أحتاج أحدهم معي، كنت خائفة ومنهكة ومتألمة.. كثيرًا.

حاولنا جميعًا أن نتناول العشاء ولكن لم تستطع معدتي تحمُّل الطعام وأخرجت كل ما فيها وأنا أشعر بالإعياء الشديد.. قالت لي لمى أنه يجب أن أذهب غدًا للمستشفى حتى نطمئن.

أخبرتها أنه فقط القاولون العصبي ومن حقه فأنا مررت بأسوأ يوم في حياتي كلها.

ولكنها أصرت حتى إنها أخذتني عندما استيقظت.. تركنا ياسمين نائمة وذهبنا معًا.

قالت إنه يجب أن يأخذوا عينة دم وكنت مستسلمة لها تمامًا.. بعد ساعة أخبرتني أنها تريد أن تضعني على جهاز السونار.. لم أفهم شيئًا ولا هي أظن.. ولكنني حامل!





أنا أحمل في أحشائي جنيني منذ ثمانية أسابيع.. أنا حامل!

لم تكن لمى تعرف ما حدث يوم فرحي، أخبرتها أني كنت متزوجة من آدم

رغم كل الألم الذي بداخلي لفقدان أمي إلا أني أشعر أني أكاد أحلق في السماء من فرحتي.. لطالما تمنيت أن أكون أمًّا.. ولكن آدم، كيف سأخبره.. هل سأخبره أصلًا؟

كتب لي الدكتور بعض الأدوية ونصحني بالراحة التامة وكل هذا الكلام الطبي المحفوظ.

رجعنا للبيت لأجد ياسمين وآدم يشربان قهوة وهو يسأل:

- رُحتوا فين، كلمتك كتير مردتيش.

نظرت له وصمتُّ.

قالت لملا:

- إيلين حامل بشهرين.

نظرت لها بغضب ثم قالت لي:

- كنتِ هتقوليله؟.. لأ.. بس هو من حقه يعرف وانتِ بتحبيه وهو بيحبك وانتِ حامل بابنكم يبقى تتجوزوا بقي وكفاية وجع قلب.. إنتِ محتاجاه جنبك بطلي مكابرة وعِند ولو هتقطعي علاقتك بيَّا من زعلك إني عملت كدا، اقطعي بس المهم مصلحتك يا إيلين ومصلحة إبنك.



صرخت ياسمين بفرحة وجاءت تضع يديها على بطني وتقول: « قلب عمتك إنت» قلت لها:

- إشمعنى مش خالتو يعني.

- قلب خالتو انت.

ليقول آدم:

بعتيني في لحظة؟

لتقول له ياسمين ضاحكة:

- والله بقدر أكون خالته وعمته بنفس الوقت بس اقنعوا الولد بقى إنكم مش اخوات.

اقترب آدم وهو ينظر لي وكأنه استوعب للتو ما حدث:

- حامل؟

- حامل.

لينظر لي بنظرة لم أرَها من قبل ويحضتنني، أشعر بدقات قلبه تتصارع وأنا مثله، ولكن هُناك هذه المرة دقات قلب ثالثة بداخلي تدق معنا.

- أنا بحبك، عُمري ما حبيت حد زيك ومش هسيبك تضيعي مني.. هصلَّح كل حاجة وعد.

كيف يمكن لجنين صغير أن يمحو كل العذاب والألم والبكاء ليتحول إلى فرحة وأمل.. كيف يحول الموت إلى



حياة.. جاء ابني وكأنه تعويض من الله على فقدان أمي، وكأنه يأخذ ليهب من يشاء من فضله.

❊❊❊

«بعد سنوات»

- جالسة أنا وآدم على سطح بيت عالٍ بلندن.. أتأمل القمر والنجوم ورأسي على كتفه كعادتنا.. نستمع لصوت فيروز وهي تقول «بتطل الليالي وتروح الليالي وبعدك ع بالي» ونغني معها وأتأمل الماضي والحاضر.. وأتذكر مقولة «ربما ليست كل النهايات سعيدة ولكنها حتمًا ستصل للسعادة يومًا ما»

- فاكر كل حاجة قُلنا مش هتعدي وعدت؟

- مش مهم الحاجة تعدي أو لا، المهم إنك تلاقي حد ماسك إيدك وبيعديها معاكِ.. أنا وعدتك إني هفضل معاكِ لحد ما كل حاجة تبقي كويسة في يوم.

- إوعدني تفضل على طول..

- أنا اتدبست، دبستيني في عيلين والتالت في الطريق تفتكري هعرف أهرب؟

- أنا بحبك.

- وأنا هفضل أحبك لحد آخر نفس خارج مني.. وعد.



وفجأة نسمع صوت صراخ لنركض ونجد ياسمين تلبس قناعًا مُخيفًا وتخيف به زياد ولارا وابنها يوسف، تزوجت ياسمين من رجل يعشقها وتعشقه، رجل عوضها عن كل تلك السنوات التي بقيتها وحيدة.

أخذت خطوتين للخلف وأنا أتأمل ما حققته.. لدي طفلان وجنين بداخلي، لدي زوج رائع وأخت لم تلدها أمي.. لدي عائلة مثالية..

لقد تألمت كثيرًا حتى وصلت لهذه السعادة، وما زلت سأتألم وسأعاني لأحافظ عليها، ولكني على استعداد أن أستنزف كل ذرة قوة بداخلي لنبقى هكذا دائمًا.

***





ما لا نبوح به

كم مرة إنفصلنا؟ لا أعرف، كل ما أعرفه أن البعد عنه يربكني، كنت أريد أن أعود، في كل مرة نبتعد كنتُ أعود دائماً، أرجع وأنا كُلي أمل أن يتغير، أن يصبح لي، أن يتخلى عن حماقاته ويراني على حقيقتي ولو لمرة واحدة، كنت أريده أن يكون مثالياً وأن يكون لي وحدي، كنتُ أريد كل شيء وحدي! ولم يكن هو يشعر بأي شيء .. تركني هنا في المنتصف تماماً، لا أنا أكملت الطريق وحدي، ولا أنا بقيت معه، صرتُ في هذا المنتصف اللعين، لا لون لي!

تسافر بطلة الحكاية بحثاً عن نفسها، تقابل حبها الحقيقي في تلك المدينة الجميلة، تتعلق به، غير أن أحلامنا عن الحب ربما تبدو باهتة إذا جاءت في غير موعدها، لذلك تعود إلى الأسكندرية فتقابل بطل تجربة قديمة لطالما أرهقتها، في المنتصف .. تكتشف أنها وحدها تحتاج إلى أن تحب نفسها قبل أن يحبها الآخرين، فهل تتغير تفاصيل الحكاية ؟!



ساندرا سراج

درست في كلية الآداب قسم علم نفس جامعة الأسكندرية ، مقدمة برامج إذاعية بموقع أوليموز العالمي، لها العديد من المقالات والتدوينات عبد مواقع ومجلات إلكترونية، صدر لها رواية "سأرحل" عام 2017.

تصميم الغلاف كريم آدم


ISBN 978-977-806-106-2

